

المؤرخ البغدادي محمد بن أحمد القادسي (ت 632هـ/1235م) وكتابه "الفاخر في ذكر حوادث أيام الإمام الناصر"

مضر طلفاح*

ملخص

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على المؤرخ البغدادي محمد بن أحمد القادسي ت 632هـ/1235م، وكتابه "الفاخر في ذكر حوادث أيام الإمام الناصر"، بتجلية معالم حياة ابن القادسي، وتبيان أهمية كتابه الفاخر، ونقول المؤرخين اللاحقين عنه، ومنهج ابن القادسي وموارده وميوله فيه. وخلص البحث إلى: شهرة ابن القادسي وكتابه الفاخر، واعتماد المؤرخين اللاحقين عليه في أحداث ووفيات الحقبة الزمنية (575-616هـ/1179-1220م)، واعتماد ابن القادسي المنهج التاريخي الحولي، وحرصه على التأريخ الدقيق للحدث وتتبع تفاصيله وإيراد أسبابه ونقد بعض أخباره، وترتيبه الوفيات حسب تاريخ وقوعها الدقيق، وتضمينه أهم المعلومات عن الأعلام الذين ترجم لهم. وحدد البحث موارد ابن القادسي في الفاخر بمعاصرتة للأحداث والشخصيات، والكتب الرسمية الصادرة عن الحكام، ومراسلات العلماء في الأقاليم الإسلامية، والحجاج في أخبار موسم الحج، وبعض التجار عن البلاد التي ارتحلوا إليها. كما حدد ميول ابن القادسي فيه؛ بالشخصية، والطائفية السنية، والحنبلية الداخلية، والميول السياسية العباسية حيث بين انحيازه للخلافة العباسية ومواقفها في عهد الخليفة الناصر.

الكلمات الدالة: محمد بن أحمد القادسي، كتاب الفاخر في ذكر حوادث أيام الإمام الناصر، الخليفة العباسي الناصر لدين الله، مؤرخو القرن 7هـ/13م، تأريخ التاريخ العربي الإسلامي.

مقدمة:

يُعدُّ المؤرخ البغدادي محمد بن أحمد القادسي (ت 632هـ/1235م) احد المؤرخين البغداديين المشهورين في النصف الأول من القرن 7هـ/13م (مصطفى، 1987، ج2، ص 132 وما بعدها)، واشتهر بكتابه "الفاخر في ذكر حوادث أيام الإمام الناصر" (السخاوي، 1986، ص288)، والذي اعتبره القفطي (ت 646هـ/1248م) أحر المصنفات التاريخية الأساسية في سلسلة المؤلفات التاريخية البغدادية (القفطي، 2005، ص89-90)، ولهذا غدا كتاب الفاخر احد أهم المصادر التاريخية لمن جاء بعده من المؤرخين لتاريخ الخلافة العباسية في الحقبة الزمنية 575-616هـ/1179-1220م، والتي تشغل الشطر الأكبر من عهد الخليفة العباسي الناصر لدين الله (575-622هـ/1180-1225م).

ورغم أن كتاب الفاخر لم يصلنا، إلا أن نقول المؤرخين اللاحقين عنه تتيح دراسته وإلقاء الضوء عليه، ولهذا جاء هذا البحث بهدف دراسة حياة المؤرخ محمد بن أحمد القادسي وتجليته معالم شخصيته، وإلقاء الضوء على كتابه "الفاخر في ذكر حوادث أيام الإمام الناصر" من حيث: عنوانه وانتشاره، ونطاقه الزمني، وأهميته التاريخية، ونقول المؤرخين اللاحقين عنه، ومنهج ابن القادسي وموارده وميوله فيه.

محمد بن أحمد القادسي

لم تقدم المصادر، المتوافرة، إلا النزر اليسير من المعلومات عن حياة محمد بن أحمد القادسي، وهو ما يحتم استنطاقها لاستخراج المعالم العامة الرئيسة لشخصيته، وضمن المحاور التالية:

اسمه ونسبه وشهرته

هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن علي القادسي، نسبة إلى قرية القادسية بين بغداد وسامراء (المنذري، 1984، ج3، ص 391-392، الذهبي، 2003، ج14، ص84)، المشهور بابن القادسي (القفطي، 2005، ص90، سبط ابن الجوزي، 2013، ج21، ص 387، ج22، ص 18، 19، 69؛ أبو شامة، 1997، ج3، ص 271، 328؛ ابن خلكان، 1977، ج1، ص 329،

* قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة اليرموك. تاريخ استلام البحث 2020/7/23، وتاريخ قبوله 2020/12/9.

332، ابن رجب، 2005، ج3، ص 65، 87، 163)، وإن كان البعض يشير إليه بصيغة محمد بن القادسي (سبط ابن الجوزي، 2013، ج21، ص143، 343؛ أبو شامة، 1997، ج3، ص 297، 376، ج4، ص354، 369؛ ابن خلكان، 1977، ج6، ص242؛ الذهبي، 2003، ج12، ص 670)، أو القادسي فحسب (الذهبي، 2003، ج14، ص84، ابن رجب، 2005، ج3، ص 82، 107، 185؛ الصفدي، 1974، ج2، ص117)، وهي النسبة التي اعتمدها شاكر مصطفى (مصطفى، 1987، ج2، ص134).

أسرته

لم تذكر المصادر، المتوافرة، من أسرته إلا والده أبا العباس أحمد بن محمد القادسي (ابن نقطة، 1991، ج4، ص529؛ المنذري، 1984، ج3، ص130)، والذي توسعت المصادر، المتوافرة، بأخباره مقارنة بما أوردته عن ابنه محمد، وهو ما يدفع إلى بسط حياته للاستضاءة بها على حياة ابنه محمد.

وُلد أبو العباس أحمد بن محمد في حدود سنة 548هـ/1153م (المنذري، 1984م، ج3، ص131؛ الذهبي، 2003، ج13، ص662)، في قرية القادسية، بين بغداد وسامراء، على الأغلب، ثم انتقل منها للاستقرار في مدينة بغداد، وهو ما يُفهم من وصف الذهبي (ت 748هـ/1348م) له بالقول: "القادسي ثم البغدادي" (الذهبي، 2003، ج13، ص661)، ولهذا عُرف في مدينة بغداد بالقادسي، دون أن تتضح أصوله التي يعود إليها؛ عربية كانت أم أعجمية (أبو شامة، 1974، ص144؛ ابن كثير، 1998، ج17، ص129). ويستشف من المصادر، المتوافرة، أن أحمد القادسي لا ينتسب إلى أسرة علمية، أو ذات اهتمام علمي، إذ يبدو أن أفرادها كانوا يعملون إما بالزراعة أو صناعة الزجاج، وهما الحرفتان الرائجتان في قريته القادسية آنذاك (لسترانج، 1985، ص72 وما بعدها) غير أن أحمد توجه إلى طلب العلم نظراً لفقدانه البصر، إذ أجمعت المصادر التي ترجمت له على وصفه بالضرير (ياقوت، 1977، ج4، ص293؛ ابن نقطة، 1991، ج4، ص529؛ سبط ابن الجوزي، 2013، ج22، ص272؛ المنذري، 1984، ج3، ص130).

ويبدو أن أحمد القادسي قصد بغداد في سن مبكرة من عمره لطلب العلم فيها، إذ إن أسماء شيوخه، على قلتهم في المصادر المتوافرة، تُظهر أنهم بأجمعهم بغداديون، منهم: أبو القاسم يحيى بن ثابت بن بندار البغدادي (المنذري، 1984، ج3، ص131) الذي توفي سنة 566هـ/1169م (ابن الجوزي، 1992، ج18، ص195؛ الذهبي، 1996، ج20، ص506)، مما يؤكد أن أحمد القادسي توجه لطلب العلم في بغداد وهو دون 18 من عمره، وكان توجهه دراسة العلوم الدينية، قال عنه سبط ابن الجوزي (ت 654هـ/1256م): "قرأ القرآن، وسمع الحديث النبوي (سبط ابن الجوزي، 2013، ج22، ص272) على عدد من علماء بغداد آنذاك، إلا أن المصادر، المتوافرة، لم تذكر إلا ثلثة منهم فحسب (ابن نقطة، 1991، ج4، ص529؛ المنذري، 1984، ج3، ص131؛ الذهبي، 2003، ج13، ص662)، وفيما يلي شيوخه الذين تكرتهم المصادر، المتوافرة، مرتبين وفق تاريخ وفاتهم:

- أبو القاسم يحيى بن ثابت بن بندار البغدادي (ت 566هـ/1169م): أحد علماء الحديث ورواته ذوي المكانة في عصره (ابن الجوزي، 1992، ج18، ص195؛ ابن الديبشي، 2006، ج5، ص113؛ الذهبي، 1996، ج20، ص505)، تتلمذ عليه أحمد القادسي (ابن نقطة، 1991، ج4، ص529؛ المنذري، 1984، ج3، ص131؛ ابن ناصر، 1993، ج7، ص11).

- أبو محمد عبد الله بن أحمد الداھري البغدادي (ت 575هـ/1179م): من علماء بغداد (ابن الديبشي، 2006، ج3، ص435؛ الذهبي، 2003، ج12، ص553)، وأحد علماء القراءات في عصره (الذهبي، 1988، ج2، ص572؛ ابن الجزري، 2006، ج1، ص364)، قرأ عليه أحمد القادسي القرآن وأخذ عنه القراءة (المنذري، 1984، ج3، ص131؛ الذهبي، 2003، ج13، ص662).

- أبو الحسين عبد الحق بن عبد الخالق البغدادي (ت 575هـ/1180م): أحد كبار علماء الحديث ورواته في بغداد في عصره (ابن الديبشي، 2006، ج4، ص219؛ الذهبي، 1996، ج20، ص552)، تتلمذ عليه أحمد القادسي (ابن نقطة، 1991، ج4، ص529؛ المنذري، 1984، ج3، ص131؛ الذهبي، 2003، ج13، ص662).

- أبو الفتح عبيد الله بن عبد الله ابن شاتيل البغدادي (ت 581هـ/1185م): محدث بغداد (ابن الديبشي، 2006، ج3، ص545؛ الذهبي، 1996، ج21، ص117) تتلمذ عليه أحمد القادسي (المنذري، 1984، ج3، ص131).

- أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (ت 597هـ/1200م): عالم موسوعي؛ محدث ومفسر ومؤرخ وفقه حنبلي ذو مكانة في عصره (ابن الديبشي، 2006، ج4، ص43؛ سبط ابن الجوزي، 2013، ج22، ص93؛ ابن رجب، 2005، ج2، ص458)، كان أحمد القادسي "ملازماً لابن الجوزي، وبه انتفع" (ابن العماد، 1991، ج7، ص167)، وحرص على الانتظام في حضور مجالسه، حتى الوعظية منها (أبو شامة، 1974، ص143؛ ابن كثير، 1998، ج17، ص129).

واستقر أحمد القادسي في مدينة بغداد، واتخذها موطناً له حتى وفاته بها سنة 1224/هـم، وانتمى بها إلى المذهب الحنبلي (المنذري، 1984، ج3، ص130؛ سبط ابن الجوزي، 2013، ج22، ص272)، وغدا أحد المحدثين فيها (المنذري، 1984، ج3، ص131)، إذ وُصف بأنه: "شيخ صالح صحيح السماع" (ابن نقطة، 1991، ج4، ص528)، وروى عنه جمع من المحدثين، غير أن المصادر، المتوافرة، لم تُسم منهم إلا ابن المُزَيخ (ابن ناصر الدين، 1993، ج7، ص11؛ ابن حجر، 1967، ج3، ص1093)، وهو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن محمد البغدادي (ت1290/هـم)، علماً بأنه ولد سنة 611/هـم1215م) الذهبي، 2003، ج15، ص645) مما يعني أنه تتلمذ على أحمد القادسي وسنّه دون العاشرة، وهو ما يتأكد بروايته أيضاً عن شيوخ آخرين خلال سنه الصغيرة ذاتها (ابن الفوطي، 1461هـ، ج5، ص388-389)، ويبدو أن سن البدء بطلب العلم آنذاك هو العاشرة من عمر الطالب، وقال ابن عبد الهادي (ت744/هـم1343م) عن معاصر ابن القادسي: عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (ت656/هـم1258م) صاحب كتاب التكملة على وفيات النقلة: "وُلِدَ في شعبان سنة إحدى وثمانين وخمس مئة... وأول سماعه في سنة إحدى وتسعين" (ابن عبد الهادي، 1996، ج4، ص221).

كما اشتهر أحمد القادسي بقراءة القرآن وتدريسها، حتى لقب بالمقرئ (المنذري، 1984، ج3، ص130؛ الذهبي، 2003، ج13، ص661؛ ابن ناصر الدين، 1993، ج7، ص11)، كما اشتهر بقراءة القرآن الكريم في بغداد حتى أنه استدعي إلى دار الخلافة ليصلي بها بالخليفة العباسي المستضيء (566-575/هـم1170-1179م) صلاة التراويح (سبط ابن الجوزي، 2013، ج22، ص272؛ أبو شامة، 1974، ص143)، وهو دون 27 من عمره.

ولم تذكر المصادر أي معلومات أو إشارات عن حياة أحمد القادسي الأسرية أو أبنائه، باستثناء ابنه المؤرخ أبي عبد الله محمد (ابن نقطة، 1991، ج4، ص529؛ الذهبي، 2003، ج13، ص661).

مولده وطلبه للعلم

ضنّت المصادر، المتوافرة، التي ترجمت لمحمد بن أحمد القادسي في إيراد أي معلومات أو إشارات عن تاريخ مولده ومكانه وطلبه الأولي للعلم، غير أن تأكيد هذه المصادر على تتلمذه على ابن شاتيل (ت581/هـم1185م) (ابن نقطة، 1991، ج4، ص529؛ المنذري، 1984، ج3، ص392؛ الذهبي، 2003، ج14، ص84) يتيح ترجيح تاريخ مولده في حدود سنة 570/هـم1174م، ليكون عمره عند وفاة شيخه ابن شاتيل بحدود 10-11 سنة، وهو سن يؤهله للتلمذ عليه، آنذاك، أسوة بسن تلميذ والده ابن المريخ، ومعاصره المنذري كما سلف تبيان، والظاهر أن ابن القادسي ولد في مدينة بغداد، اعتماداً على استيطان والده إياها حتى وفاته.

وأما عن طلبه للعلم فيمكن الإشارة هنا إلى عاملين رئيسيين في مسيرته العلمية؛ أولهما: مولده في بغداد عاصمة العلم والثقافة آنذاك، وثانيهما: رعاية والده له، واهتمامه بتلقيه العلم، ودفعه للتلمذ على العلماء المشهورين في بغداد آنذاك، ومنهم من تتلمذ هو عليهم، كابن شاتيل وابن الجوزي، وهو ما سيعرض تالياً. ولهذا يمكن القول أنه قرأ القرآن الكريم على والده المقرئ المشهور ببغداد آنذاك، كما سلف تبيان، وسمع الحديث النبوي ورواه (ابن نقطة، 1991، ج4، ص529؛ المنذري، 1984، ج3، ص392؛ الذهبي، 2003، ج14، ص84)، وانتمى بدوره إلى المذهب الحنبلي (مصطفى، 1987، ج2، ص134) أسوة بأبيه، وهو ما يبيّن تأثير والده عليه بتوجيهه نحو العلوم الدينية، وهي ذاتها التي كانت وجهته من قبل، إلا أن محمداً أمتاز عن والده باعتناؤه بعلم التاريخ (ابن نقطة، 1991، ج4، ص529؛ المنذري، 1984، ج3، ص392) وتصنيفه فيه (ياقوت، 1986، ص337؛ سبط ابن الجوزي، 2013، ج22، ص272؛ الذهبي، 2003، ج13، ص661، ج14، ص84).

شيوخه وتلامذته:

أكدت المصادر، المتوافرة، التي ترجمت لمحمد بن أحمد القادسي تتلمذه على عدد من العلماء، إلا أنها لم تُسم منهم إلا المحدث أبا الفتح عبيدالله بن عبدالله ابن شاتيل البغدادي (ت581/هـم1185م) (ابن نقطة، 1991، ج4، ص529؛ المنذري، 1984، ج3، ص392؛ الذهبي، 2003، ج14، ص84)، غير أنه يمكن معرفة بعض من شيوخه الآخرين من خلال تصريح ابن القادسي نفسه ببعضهم من خلال النصوص التي نقلتها بعض المصادر عنه، ولعل من أبرزهم: أبو الفرج عبدالرحمن بن علي ابن الجوزي (ت597/هـم1200م)، إذ صرح بتلمذه عليه، وكان يسميه "شيخنا ابن الجوزي" (ابن رجب، 2005، ج3، ص82، 83)، وأبو المظفر محمد بن علي الدوري الحنبلي (ت611/هـم1214م)، حيث صرح بحضوره مجالسه (ابن رجب، 2005، ج3، ص160)، يعضده ما أورده العليمي في المنهج الأحمد (العليمي، 1997، ج4، ص103)، كما صرح بحضوره مجالس أبي محمد عبدالرحمن

بن عيسى البزوري البغدادي (ت604هـ/1207م)، غير أنه انحاز إلى شيخه ابن الجوزي لما دب الخلاف بينهما (ابن رجب، 2005، ج3، ص82-83). ويستشف من الأوصاف الدقيقة التي كان ابن القادسي يصف بها مجموعة من علماء بغداد المتوفين في أواخر ق6هـ ومطلع ق7هـ/12-13م، وهو ما سيعرض تالياً، إلى تتلمذه عليهم، غير أنه من الصعب الجزم بذلك نظراً لعدم تصريح النصوص المنقولة عنه بذلك.

وأكدت المصادر التي ترجمت لابن القادسي تتلمذ طلاب العلم عليه وروايتهم عنه، إلا أنها لم تسم واحداً منهم (ابن نقطة، 1991، ج4، ص529؛ المنذري، 1984، ج3، ص392)، وانفرد الذهبي من بينها بالقول أنه "أجاز" لعدد من الطلاب، إلا أنه لم يذكر بدوره إلا اثنين منهما فحسب (الذهبي، 2003، ج14، ص84)، وهما: تاج الدين إسماعيل بن إبراهيم بن قرش المخزومي المصري (ت694هـ/1295م) وهو محدث مصري ذو مكانة في عصره (الذهبي، 2003، ج15، ص785؛ البرزالي، 2006، ج2/1، ص396)، وفاطمة بنت سليمان الأنصاري الدمشقية (ت708هـ/1308م)، وهي محدثة ذات مكانة في دمشق (البرزالي، 2006، ج1/2، ص39؛ ابن العماد، 1991، ج8، ص32). ورغم ذلك فإن اسميهما يدلان على شهرة ابن القادسي في علم الحديث وروايته، وهو ما حمل طلبة الحديث في الشام ومصر على طلب إجازته.

مهنته ومكانته ووفاته:

لم تذكر المصادر، المتوافرة، تولي ابن القادسي لأي عمل رسمي في الدولة، بل وصفته بـ "الكُتبي" (ياقوت، 1986، ص337؛ ياقوت، 1977، ج4، ص293؛ المنذري، 1984، ج3، ص392؛ الذهبي، 2003، ج14، ص84؛ الصفدي، 1974، ج2، ص117)، وهو اللفظ الذي يطلق على بائع الكتب، ممن يمتلك حانوتاً خاصاً لبيعها (القاسمي، 1988، ج2، ص383)، وهو يختلف عن الوَازِق، الذي ينسخ الكتب والمؤلفات، أو يبيع الورق فحسب (السمعاني، 1988، ج5، ص584). وكان لمهنة ابن القادسي هذه أعظم الأثر في إطلاعه على كتب التاريخ، إذ كان له "اعتناء بالتواريخ وغير ذلك من الحوادث" (ابن نقطة، 1991، ج4، ص529؛ المنذري، التكملة، 1984، ج3، ص392؛ الصفدي، 1974، ج2، ص117)، وهو ما كان ذا تأثير في اتجاهه للتأليف في مجال التاريخ الإسلامي (مصطفى، 1987، ج2، ص134).

وكان ابن القادسي يحظى بمكانة واحترام في مجتمعه، وهو ما يفصح عنه وصف الذهبي (ت748هـ/1348م) له بقوله: "كان رجلاً فاضلاً" (الذهبي، 2003، ج14، ص84). وهو ما يستشف من علاقته بكبار علماء عصره، وعلى الأخص أبو الفرج ابن الجوزي (ابن رجب، 2005، ج3، ص82-83)، كما تُؤشر مهنته (الكتبي) على علاقته بالعلماء وطلبة العلم في بغداد. ويبدو من خلال المصادر التي ترجمت له أنه لم يغادر بغداد، واستمر بسكناها حتى وفاته بها في 19 جمادى الآخرة سنة 632هـ/11 آذار 1235م. هذا ولم تُشر المصادر إلى حياته الأسرية أدنى إشارة، ولم تذكر المصادر اللاحقة أيّاً من أبنائه أو أحفاده ممن اشتهر علمياً، بل اعتنت هذه المصادر بتأكيد تصنيفه كتاباً في التاريخ فحسب.

مؤلفاته:

اشتهر محمد بن أحمد القادسي مؤرخاً أكثر من شهرته في المجالات العلمية الأخرى، حتى نعته بعض من ترجم له بـ "المؤرخ" (الذهبي، 2003، ج13، ص661؛ الصفدي، 1974، ج2، ص117)، إذ عُرف عنه اعتنائه الفائق بعلم التاريخ، وعنايته الملفتة للنظر بدراسته والإطلاع على مؤلفاته، وهو ما تبدى لمعاصريه فوصفه بعضهم بالقول: "له اعتناء بالتواريخ وغير ذلك من الحوادث" (ابن نقطة، 1991، ج4، ص529؛ المنذري، 1984، ج3، ص392). بيد أن ابن القادسي لم يقف باهتمامه بالتاريخ وشغفه به حدود الإطلاع فحسب، بل قام بالتأليف فيه، وقد وصل إلينا عنوانين لكتابين له، أولهما: تاريخ الوزراء، وثانيهما: الفاخر في ذكر حوادث أيام الإمام الناصر (مصطفى، 1987، ج2، ص134)، على أن الأشهر بينهما هو الفاخر، والذي غدا مصدر شهرة ابن القادسي وحضوره في الحياة العلمية، بل وبلغ من شهرته أن أصبح والده يُعرّف به (سبط ابن الجوزي، 2013، ج22، ص272؛ أبو شامة، 1974، ص143؛ الذهبي، 2003، ج13، ص661)، إذ غدا كتاب الفاخر أحد أهم المصادر التاريخية للحقبة التي أرخ لها لمن جاء بعده من المؤرخين، سواء لمن أرخ للأحداث التاريخية، أو لتراجم العلماء، باعتباره آخر المصنفات التاريخية الأساسية في سلسلة المؤلفات التاريخية البغدادية (القطني، 2005، ص89-90)، وفيما يلي عرض لمؤلفيه الذين وصلتنا أخبار عنهما، إذ لم يصل كليهما إلينا:

- كتاب "أخبار الوزراء": هو أحد مصادر ابن خلكان (ت681هـ/1282م) في كتابه وفيات الأعيان، إذ نقل عنه في عدة مواضع مرّة باسم "أخبار الوزراء" (ابن خلكان، 1977، ج1، ص329، 332، ج5، ص126)، وأخرى باسم "تاريخ الوزراء" (ابن خلكان، 1977، ج6، ص230)، كما نقل عنه اليافعي (ت768هـ/1366م) في كتابه مرآة الجنان وسمّاه: "أخبار الوزراء" (اليافعي،

1997، ج1، ص315)، ويبدو أنه ينقل عنه من خلال وفيات الأعيان.

والكتاب كما يفسح عنوانه في أخبار الوزراء تحديداً، ويبدو ومن خلال نقول ابن خلكان أنه شامل لجميع وزراء الدولة العباسية منذ مطلع عهدها وحتى عصر المؤرخ القادسي، أي منذ ق2هـ/8م - ق7هـ/13م، إذ نقل عنه ابن خلكان في أخبار جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي (قتل 187هـ/803م) (ابن خلكان، 1977، ج1، ص329، 332)، وأخبار الوزراء من آل الفرات في ق4هـ/10م (ابن خلكان، 1977، ج3، ص425)، والوزير البويهني فخر الملك محمد بن علي بن خلف (قتل 407هـ/1016م) (ابن خلكان، 1977، ج5، ص126)، والوزير العباسي ابن هبيرة (ت 560هـ/1165م) (ابن خلكان، 1977، ج6، ص230، 242).

وصرح ابن خلكان انه ينقل من كتاب "أخبار الوزراء" مباشرة (ابن خلكان، 1977، ج3، ص425)، وهو ما يشير إلى انتشار الكتاب، ويؤكد بقاءه إلى أواخر ق7هـ/13م على أقل تقدير، واعتبر شاكر مصطفى أن كتاب تاريخ الوزراء لابن القادسي كان آخر كتاب "ضمن سلسلة الكتب بهذا الموضوع" (مصطفى، 1987، ج2، ص134)، رغم أن المؤرخ ابن الساعي (ت 674هـ/1275م) له كتاب "أخبار الوزراء في دول/دولة الأئمة الخلفاء" (السخاوي، 1986، ص52، 172).

ولا يزال كتاب أخبار الوزراء لابن القادسي في عداد المفقود إلى الآن، ولو قُدِّر له الوصول إلينا لعدُّ من أهم مصادر تاريخ الدولة العباسية منذ نشأتها وحتى عصر المؤلف ابن القادسي، وبالذات في ميدان تاريخها الإداري ونظمها، أضف إلى ذلك انه كان ليلقي الضوء على العديد من المصادر المفقودة إلى الآن، خاصة تلك التي عانيت بالوزراء، والتي نقل عنها ابن القادسي في كتابه، لإطلاعها على كتب التاريخ ومصادره بحكم ولعه فيه من جهة، ومهنته ككتبي من جهة أخرى، كما سلف تبيانه .

- كتاب "الفاخر في ذكر حوادث أيام الإمام الناصر": ذكره السخاوي (ت 902هـ/1497م) ضمن الذبول التي أُلِّفت على كتاب المنتظم لابن الجوزي إذ قال: "ثم دُيِّل عليه محمد بن أحمد بن محمد الفارسي [!] في كتابه، وسمّاه: الفاخر في ذكر حوادث أيام الإمام الناصر، وهو في مجلدات" (السخاوي، 1986، ص288)، ومن الواضح أن القادسي تصحف في المطبوع إلى الفارسي! وكتاب الفاخر كتاب في التاريخ العام، ولا يزال في عداد المفقود من كتب التراث إلى الآن، اعتمد عليه العديد من المؤرخين اللاحقين ونقلوا عنه نصوصاً متفاوتة الطول، وهذه النصوص تتيح دراسة الكتاب وإلقاء الضوء عليه من حيث: عنوانه وانتشاره، ونطاقه الزمني، وأهميته التاريخية، ونقول المؤرخين اللاحقين عنه، ومنهج ابن القادسي وموارده وميوله فيه، وهو ما سيكون محاور البحث التالية.

كتاب الفاخر في ذكر حوادث أيام الإمام الناصر

عنوان الكتاب

أجمع المؤرخون الذين ترجموا لابن القادسي، أو لوالده، أو نقلوا عنه في مصنفاتهم على تأليفه كتاباً في التاريخ العام، غير أنهم أطلقوا عليه إحدى صيغتين: أولهما: الذيل على تاريخ ابن الجوزي (ياقوت، 1986، ص337؛ سبط ابن الجوزي، 2013، ج21، ص309، 322، ج22، ص272؛ أبو شامة، 1997، ج3، ص51؛ أبو شامة، 1974، ص143؛ ابن كثير، 1998، ج17، ص129). وثانيهما: التاريخ (أبو شامة، 1997، ج3، ص297، 376، 425؛ الذهبي، 2003، ج13، ص8، ج14، ص84؛ ابن رجب، 2005، ج2، ص486، ج3، ص107، 144؛ الصفي، 1974، ج2، ص117).

غير أن هاتين الصيغتين وصفت للكتاب لا عنواناً له وهو ما يضيؤه قول الذهبي في ترجمة والد ابن القادسي مُعرفاً به: "والد المؤرخ الذي دُيِّل على المنتظم لابن الجوزي: أبي عبدالله محمد" (الذهبي، 2003، ج13، ص661). أما عنوان الكتاب كما وسمَّه به مؤلفه ابن القادسي فقد انفرد به السخاوي (902هـ/1497م)، وأورد في السياق ما يتضح به السبب الذي دفع المؤرخين اللاحقين لوصفه بالذيل على تاريخ ابن الجوزي، إذ قال بعد حديثه عن كتاب المنتظم لابن الجوزي: "ثم دُيِّل عليه محمد بن أحمد بن محمد الفارسي [=القادسي] في كتابه وسمّاه: الفاخر في ذكر حوادث أيام الإمام الناصر، وهو في مجلدات. ودُيِّل على المنتظم الإمام العز أبو بكر محفوظ بن معتوق بن البزوري" (السخاوي، 1986، ص288).

والنتيجة في اصطلاح المتقدمين بدء مؤرخ لتاريخه، سواء في التاريخ العام أو تاريخ مدينة أو غيرها، من السنة التالية للسنة التي انتهى بها مؤرخ سابق في مؤلفه، والأمثلة على ذلك كثيرة في مصنفاتنا التاريخية (القحطبي، 2005، ص89)، وهو ما ينطبق وصفاً على كتاب الفاخر لابن القادسي، ويحدد علاقته بكتاب المنتظم لابن الجوزي، ويُفسّر سبب تسميته بالذيل على تاريخ ابن الجوزي، إذ أنهى ابن الجوزي كتابه المنتظم بحوادث ووفيات سنة 574هـ/1178-1179م (ابن الجوزي، 1992، ج18، ص254-255)، في حين بدأ ابن القادسي كتابه الفاخر في حوادث ووفيات سنة 575هـ/1179-1180م وهي السنة التي تولى بها الخلافة الخليفة الناصر لدين الله (575-622هـ/1180-1225م)، والذي خصص ابن القادسي كتابه، كما يوضح عنوانه، لعهد، وهو ما دفع

البعض إلى تسمية كتاب الفاخري بذييل تاريخ ابن الجوزي، بل إن هذه التسمية أطلقت على كتاب الفاخري في حياة مؤلفه ابن القادسي، إذ قال عنه معاصره ياقوت الحموي (ت 626هـ/1228م): "محمد بن أحمد القادسي الكتبي مؤلف: ذيل تاريخ ابن الجوزي، وهو حي الآن" (ياقوت، 1986، ص337)، مما يعني أن لتاريخ ابن القادسي عنوانين؛ أحدهما أصيل وسمه به مؤلفه وهو: الفاخري في ذكر حوادث أيام الإمام الناصر، غير أنه لم يشتهر. والثاني: متعارف عليه وهو: ذيل تاريخ ابن الجوزي، وهو الأشهر والمتداول بين المؤرخين، والمهم هنا إثبات أن كلا العنوانين الرسميين: الفاخري والمتداول: الذيل هما لذات الكتاب (مصطفى، 1986، ج2، ص288)، وهو ما يؤكد أن أبا شامة (ت665هـ/1266م) بدأ بالنقل في الروضتين عن ابن القادسي في حوادث سنة 575هـ/1179-1180م، بخبر وفاة الخليفة المستضيء وخلافة ابنه الناصر لدين الله، وإجراءاته الأولى فور توليه الخلافة (أبو شامة، 1997، ج3، ص51-53)، وهي سنة بداية كتاب الفاخري، رغم أن أبا شامة يسميه "تذييل تاريخ أبي الفرج الجوزي" (أبو شامة، 1974، ص143)، مما يعني أن أبا شامة أشار إلى كتاب الفاخري باسمه المتعارف عليه، لا عنوانه الذي اختاره له ابن القادسي.

النطاق الزمني لكتاب الفاخري:

يحدد العنوان الكامل للكتاب "الفاخري في ذكر حوادث أيام الإمام الناصر" بداية النطاق الزمني له، وهو سنة اعتلاء الخليفة الناصر لدين الله الخلافة 575هـ/1180م، وهو ما يتأكد ببداية المؤرخ أبي شامة (ت665هـ/1266م) بالنقل في كتابه الروضتين عن ابن القادسي في حوادث هذه السنة، وبخبر اعتلاء الناصر للخلافة تحديداً (أبو شامة، 1997، ج3، ص51-53). ورغم أن العنوان قد يشير أيضاً إلى تحديد نهاية النطاق الزمني للكتاب بسنة 622هـ/1225م وهي سنة وفاة الخليفة الناصر، إلا أن القفطي (ت646هـ/1248م) وهو معاصر لابن القادسي، ينص على نهايته قبل ذلك، إذ قال بعد تعداد المؤلفات التاريخية التي عدّها ذيولاً على تاريخ الطبري (ت310هـ/922م): "... ثم كمل عليه ابن الجوزي بعد سنة ثمانين [وخمسمائة]، ثم كمل عليه ابن القادسي إلى سنة ست عشرة وستمئة" (القفطي، 2005، ص90)، وهو ما قد يعضده أن أخر النقول من كتاب الفاخري في المصادر المتوافرة كانت عند ابن رجب الحنبلي (ت795هـ/1393م) في كتابه الذيل على طبقات الحنابلة، والذي رصد محققه أن أخر نص نقله ابن رجب عن ابن القادسي مؤرخ بسنة 612هـ/1219-1220م (ابن رجب، 2005، ج1، ص70).

ويتبين مما سبق أن ابن القادسي بدأ كتابه الفاخري بسنة 575هـ/1179-1180م وانتهى به سنة 616هـ/1219-1220م، أي أنه غطى حقبة زمنية مقدارها 41 عاماً فحسب من مدة خلافة الناصر التي امتدت 47 عاماً، وهو ما يطرح التساؤل حول سبب توقف ابن القادسي في تأريخه عند سنة 616هـ/1219-1220م؟ رغم أن خلافة الناصر امتدت بعدها 6 سنوات حتى سنة 622هـ/1225م، في حين امتد العمر بابن القادسي ذاته حتى سنة 632هـ/1235م!

والإجابة عن هذا التساؤل تغدو عسيرة، خاصة أن كتاب الفاخري لم يصل إلينا من جهة، وانعدمت الإشارة لذلك في المصادر المتوافرة التي تنقل عنه من جهة أخرى، غير أنه يمكن ترجيحاً الربط بين توقف ابن القادسي في تأريخه في نهاية سنة 616هـ/1219-1220م وبين تعرض المشرق الإسلامي للغزو المغولي المدمر بدءاً من آخرها، إذ شكل هذا الغزو صدمة عنيفة للمسلمين، خاصة إثر انهيار الدولة الخوارزمية أمامه، وانسحاق المغول في أقاليم المشرق الإسلامي وإمعانهم به قتلاً وتدميراً (ابن الأثير، 1986، ج9، ص329 وما بعدها)، وهي الصدمة التي ظهرت بوصف معاصريه من المؤرخين المسلمين كعبد اللطيف البغدادي (ت629هـ/1232م) الذي قال عنه: "هو حديث يأكل الأحاديث، وخبر يطوي الأخبار، وتاريخ يُنسى التواريخ، ونازلة تُصغّر كل نازلة، وفادحة تطبق الأرض وتملؤها ما بين الطول والعرض. وهذه الأمة... ليس في قتلهم استثناء ولا إبقاء، يقتلون الرجال والنساء والأطفال، وكان قصدهم إفناء النوع وإبادة العالم، لا قُصد الملك والمال" (السيوطي، 1988، ص373-374)، وهو ما دفع بعض المؤرخين المعاصرين له إلى التردد في تدوين أحداث الغزو المغولي، ومنهم ابن الأثير (ت630هـ/1232م) المؤرخ المعاصر لابن القادسي إذ قال: "لقد بقيت عدة سنين معرضاً عن ذكر هذه الحادثة استعظماً لها، كارهاً لذكرها، فأنا أقدم رجلاً وأوخر أخرى، فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام والمسلمين، ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك، فيا ليت أُمي لم تلدني، ويا ليتني متُّ قبل هذا وكنتُ نسياً منسياً" (ابن الأثير، 1986، ج9، ص329).

وعليه يمكن الترجيح أن ابن القادسي أحجم بعد سنة 616هـ/1219-1220م عن التأريخ نظراً لفضاعة أحداث الغزو المغولي، ولاسيما وأنه راج آنذاك شائعات تتهم الخليفة الناصر لدين الله "أنه هو الذي أطمع التتر في البلاد، وراسلهم في ذلك" (ابن الأثير، 1986، ج9، ص361)، فأثر التوقف بتأريخه عند نهاية أحداث سنة 616هـ/1219-1220م.

أهمية كتاب الفاخر ونقول المؤرخين عنه

يُعدُّ كتاب الفاخر أحد أهم مصادر تاريخ الخلافة العباسية في عهد الخليفة الناصر لدين الله، إن لم يكن أهمها على الإطلاق، إذ أدرج ضمن المصنفات التاريخية الإسلامية الأساسية حتى مطلع ق7/هـ13م، واعتبر آخر كتب سلسلة مؤلفات التاريخ العام الإسلامي البغدادية ذات الشمولية والموثوقية والمرجعية للمتتبع للتاريخ الإسلامي، وهو ما يتضح بقول القفطي (ت646هـ/1248م): "إذا أردت التاريخ متصلاً فعليك بكتاب أبي جعفر الطبري... ثم يتلو ذلك... ثم كمل عليه ابن الجوزي إلى بعد سنة ثمانين [وخمسمائة]، ثم كمل عليه ابن القادسي إلى سنة ست عشرة وستمائة" (القفطي، 2005، ص89-90).

واكتسب كتاب الفاخر أهميته من تغطيته حقبة زمنية مدتها 41 عاماً، امتدت بين عامي 575-616هـ/1179-1220م، شكلت معظم عهد الخليفة الناصر، الذي يعتبر أهم عهد في عصر إفاقة الدولة العباسية في دورها الأخير، والذي امتاز بسعيه للنهوض بالخلافة العباسية، وضمان استقلالها وعدم وقوعها تحت الهيمنة الخارجية مرة أخرى (المقابلة، 2012، ص212 وما بعدها)، ولاسيما وأن ابن القادسي كان معاصراً لخلافته، وانفرد بكثير من المعلومات الخاصة بالخلافة العباسية والعراق، وعن علاقة الخلافة بالدول الإسلامية المجاورة لها، وعلى الأخص: الدولة الخوارزمية (552-628هـ/1157-1231م) في شرقها والدولة الأيوبية (569-658هـ/1174-1260م) في غربها، وبدا ابن القادسي وكأنه يُعزِّب عن وجهة نظر الخلافة العباسية إزاء العديد من الأحداث والقوى الإسلامية. أضف إلى ذلك أن ابن القادسي اهتم في كتاب الفاخر في الحياة العلمية في عصره، إذ ترجم للعلماء الذي توفوا خلال الحقبة التي أرخ لها، وانفرد بكثير من التراجم بالتفاصيل الخاصة بهم، وهو ما أدى إلى شهرة كتاب الفاخر وبروز أهميته عند المؤرخين اللاحقين له، إذ وجدوا به كثيراً من المعلومات التي انفرد بها، مما دفعهم للنقل منه واعتماده مصدراً أساسياً في مؤلفاتهم، كلٌ حسب اهتمامه، فمنهم من اعتمد النقل عنه في الأحداث التاريخية، ومنهم من اعتمد على تراجم العلماء لديه، ومنهم من جمع النقل بين هذين المجالين. واللافت للانتباه أن شهرة كتاب الفاخر وتداوله بين المؤرخين تحققت في حياة مؤلفه ابن القادسي، وهو ما يتجلى بتتويجه مُعاصِرُهُ ياقوت الحموي (ت626هـ/1228م) والقفطي (ت646هـ/1248م) به (ياقوت، 1986، ص337؛ القفطي، 2005، ص90)، وانتشر الكتاب وتم تداوله خارج العراق وهو ما يؤكد اعتماده مؤرخي بلاد الشام عليه مصدراً من مصادرهم، بل إن المؤرخ الدمشقي أبا شامة المقدسي (ت665هـ/1266م) يؤكد أنه ينقل من نسخة الفاخر التي بخط مؤلفه ابن القادسي (أبو شامة، 1997، ج3، ص425)، واستمر كتاب الفاخر متداولاً في بلاد الشام حتى نهاية القرن 8هـ/14م على أقل تقدير، إذ كان أحد مصادر ابن رجب الحنبلي (ت795هـ/1393م) الرئيسة في كتابه الذيل على طبقات الحنابلة (ابن رجب، 2005، ج1، ص69-70). كما أن إفراد السخاوي (ت902هـ/1497م) بعنوان الكتاب الكامل، ووصفه له أنه في "مجلدات" (السخاوي، 1986، ص288)، قد يشير إلى تداول الكتاب في مصر، واستمرار وجوده حتى القرن 9هـ/15م على أقل تقدير. وفيما يلي عرض للمؤرخين الذين اعتمدوا على كتاب الفاخر ونقلوا عنه، مرتبين حسب الأقدمية التاريخية:

1) سبط ابن الجوزي (ت654هـ/1256م): حيث صرح بالنقل من كتاب الفاخر مباشرة، وسماه الذيل، إذ قال: "تكر محمد ابن القادسي في الذيل فقال"، وقال ابن القادسي في ذيله " (سبط ابن الجوزي، 2013، ج21، ص309، 322)، ثم دأب على النقل منه مكتفياً بعبارة "قال ابن القادسي" (سبط ابن الجوزي، 2013، ج21، ص356، ج22، ص6، 30).

ونقل سبط ابن الجوزي من كتاب الفاخر نصوصاً لأحداث تاريخية عن: الخلافة العباسية، والعاصمة بغداد (سبط ابن الجوزي، 2013، ج21، ص309، ج22، ص30، 6)، وعن صلاح الدين الأيوبي (سبط ابن الجوزي، 2013، ج21، ص322، 343، 387، ج22، ص18، 22)، وابنه العزيز عثمان (سبط ابن الجوزي، 2013، ج22، ص69)، وجاءت النصوص المتعلقة بصلاح الدين وابنه العزيز في مجال الرد على ابن القادسي.

ومثل سبط ابن الجوزي مصدراً لبعض نصوص كتاب الفاخر للمؤرخين اللاحقين، منهم حسب ما أتاحتها المصادر المتوافرة: ابن تغري بردي (ت874هـ/1470م): حيث نقل في كتابه النجوم الزاهرة نصين من نصوص ابن القادسي في كتاب الفاخر من خلال كتاب مرآة الزمان، وكانا عن: صلاح الدين وابنه العزيز عثمان (ابن تغري بردي، 1936، ج6، ص3، 130).

العيني (ت855هـ/1451م): إذ نقل في كتابه عقد الجمان 6 نصوص من نصوص ابن القادسي في كتاب الفاخر من خلال مرآة الزمان كما صرح بذلك (العيني، 2010، ج2، ص84، 275)، وكانت عن: الخلافة العباسية والعاصمة بغداد (العيني، 2010، ج2، ص109، 252، ج3، ص18-19)، وصلاح الدين الأيوبي (العيني، 2010، ج2، ص78، 84، 259، 275).

2) أبو شامة (ت665هـ/1266م): حيث صرح بالنقل المباشر من كتاب الفاخر، وسماه "تذييل تاريخ أبي الفرج ابن الجوزي" (أبو شامة، 1997، ج3، ص51)، وتاريخ ابن القادسي، مؤكداً أنه ينقل من نسخه بخط مؤلفه إذ قال: "قال محمد بن القادسي في

تاريخه، ونقلته من خطه" (أبو شامة، 1997، ج3، ص425)، و"وهم محمد بن القادسي في تاريخه، فيما قرأته بخطه" (أبو شامة، 1997، ج3، ص376)، غير أنه اكتفى في معظم نقوله بالقول: قال/ذكر ابن القادسي (أبو شامة، ج3، ص210، 271، 328، 423، ج4، ص65، 295، 407).

وقد نقل أبو شامة من كتاب الفاخر نصوصاً عن: الخلافة العباسية (أبو شامة، 1997، ج3، ص51-53، ج4، ص354)، والعراق وجواره المشرقي (أبو شامة، 1997، ج3، ص271)، وصلاح الدين الأيوبي وفتوحاته (أبو شامة، 1997، ج3، ص297، 328، 376، 423، ج4، ص369)، ومواسم الحج والحجاز (أبو شامة، 1997، ج3، ص271، 425، ج4، ص295)، إضافة إلى وفيات عدد من العلماء وتراجمهم (أبو شامة، 1997، ج3، ص100، 201، 210، ج4، ص355)، وأخبار أخرى (أبو شامة، 1997، ج3، ص264).

3) ابن البزوري، أبو بكر محفوظ بن معنوق البغدادي (ت694هـ/1294م): ألف كتاباً في التاريخ ذيل به على المنتظم لابن الجوزي (الذهبي، 2003، ج15، ص997؛ السخاوي، 1986، ص288)، وهو أحد موارد الذهبي في تاريخ الإسلام وبدأ بالنقل عنه في أحداث سنة 575هـ/1179-1180م (الذهبي، 2003، ج12، ص472).

ويتضح من نصوص ابن البزوري عند الذهبي أنه ينقل من كتاب الفاخر لابن القادسي، إذ قال الذهبي: "قال ابن البزوري: وفي عاشوراء سنة اثنتين [وثمانين وخمسائة] قال محمد بن القادسي: فرس الرماد في الأسواق ببغداد وعلقت المسوح...". (الذهبي، 2003، ج12، ص670). وسبق لسبط ابن الجوزي إيراد ذات النص بحرفه عازياً إياه لابن القادسي في الذيل (سبط ابن الجوزي، 2013، ج21، ص309). وأورد الفاسي (ت832هـ/1429م) في كتابه شفاء الغرام خبر موت 34 حاجاً في حادثة ازدحامهم عند باب الكعبة سنة 581هـ/1186م معقياً بعده بالقول: "ذَكَرَ هذه الحادثة ابن القادسي [ي] وابن البزوري في ذيل المنتظم لابن الجوزي" (الفاسي، 1956، ج2، ص232)، ويبدو أن ابن البزوري أسند الخبر لابن القادسي، ويظهر في نقل الذهبي عنه، وهو ما دفع الفاسي لإشراكهما في روايته، وهو ما يؤكد نقل أبي شامة الخبر ذاته في الروضتين عن ابن القادسي (أبو شامة، 1997، ج3، ص271)، غير أن المهم هنا تأكيد نقل ابن البزوري من كتاب الفاخر.

ومع أن الذهبي يورد نصاً عن ابن القادسي بدأه بقوله: "قال محمد بن [أحمد بن] محمد القادسي في تاريخه" (الذهبي، 2003، ج13، ص8) إلا أنه ينقل منه على ما يظهر من خلال شيخه ابن البزوري على الأغلب، يؤكد ما رواه في كتابه العبر في أحداث سنة 582هـ/1186م بقوله: "وقال محمد بن القادسي: فرس الرماد في أسواق بغداد...". (الذهبي، 1984، ج4، ص247)، وهو ذاته النص الذي اقتبسه عن ابن البزوري الذي يسنده إلى ابن القادسي (الذهبي، 2003، ج12، ص670). وهو النص ذاته الذي اقتبسه الياضي في مرآة الجنان والذي صدره بقوله: "وقال محمد بن القادسي" (الياضي، 1997، ج3، ص321)، والذي يبدو أنه نقله عن الذهبي.

4) ابن رجب، عبدالرحمن بن أحمد (ت795هـ/1393م): في كتابه الذيل على طبقات الحنابلة، حيث صرح بالنقل مباشرة من كتاب الفاخر وسماه: تاريخ ابن القادسي، فقال: "ذكر ابن القادسي في تاريخه" (ابن رجب، 2005، ج2، ص486، ج3، ص144)، "وقال ابن القادسي في تاريخه" (ابن رجب، 2005، ج3، ص107)، إلا أنه اكتفى بمعظم نقوله عنه بالقول: "قال ابن القادسي" (ابن رجب، 2005، ج2، ص427، 428، 505، ج3، ص163، 164)، وأحياناً: "قال القادسي" (ابن رجب، 2005، ج2، ص519، 540، ج3، ص182، 185).

نقل ابن رجب من كتاب الفاخر تراجم العلماء الحنابلة والذين انحصرت وفياتهم بين عامي 592-612هـ/1195-1216م (ابن رجب، 2005، ج2، ص419، ج3، ص185). وغدا ابن رجب بدوره مصدراً لنصوص ابن القادسي عن العلماء الذين نقل تراجمهم عنه لكل من:

ابن مفلح، إبراهيم بن محمد (ت884هـ/1479م) في كتابه المقصد الأرشد، إذ اقتبس 4 نصوص لابن القادسي في تراجم علماء الحنابلة في بغداد، (ابن مفلح، 1990، ج1، ص269، 427، ج2، ص94، 123)، ومن الواضح انه نقلها من كتاب ابن رجب الذيل على طبقات الحنابلة.

ابن العماد، عبدالحق بن أحمد (ت1089هـ/1678م) في كتابه شذرات الذهب، فقد أورد 6 نصوص لابن القادسي عن العلماء الحنابلة الذين توفوا بين عامي 593-612هـ/1197-1215م (ابن العماد، 1991، ج6، ص515، 550، ج7، ص74، 83، 89، 95)، وكان مصدره فيها، على ما يبدو، كتاب ابن رجب الذيل على طبقات الحنابلة.

معالم منهج ابن القادسي في كتاب الفاخر

يُعدُّ فقدان كتاب الفاخر عائقاً رئيساً أمام تحليل منهج ابن القادسي فيه بشكل تفصيلي، خاصة أن السخاوي وصف حجمه بالقول: "هو في مجلدات" (السخاوي، 1986، ص288)، غير أن النصوص التي احتفظت بها المصادر التي نقلت عن الفاخر تتيح دراسة معالم منهج ابن القادسي الأساسية فيه، والتي يمكن إجمالها بالآتي:

اعتمد ابن القادسي في كتاب الفاخر منهج التأريخ الحولي المرتب على السنين، ويتضح في إدراج السخاوي للفاخر ضمن المؤلفات التاريخية التي تجمع بين "الحوادث والوفيات" (السخاوي، 1986، ص288)، أن ابن القادسي يذكر، سيراً على خطى شيخه ابن الجوزي في المنتظم، حوادث السنة التي يؤرخ لها، ثم يعقبها بترجم العلماء الذين توفوا خلالها، والنصوص المتبقية في الفاخر عند المؤرخين الذين نقلوا عنه تؤكد ذلك، إذ كان منهم من نقل الأحداث التاريخية فحسب كسبط ابن الجوزي في مرآة الزمان، ومنهم من نقل من التراجم فحسب كابن رجب في الذيل على طبقات الحنابلة، ومنهم من جمع في نقوله من الفاخر بين الأحداث التاريخية وترجم العلماء كأبي شامة في الروضتين، والذي نقل من نصوص ابن القادسي ما يؤكد ذلك، إذ قال في أحداث سنة 577هـ/1181م: "قال ابن القادسي: وفيها في عشية الخميس ثامن شعبان توفي الإمام كمال الدين أبو البركات" الأنباري النحوي (أبو شامة، 1997، ج3، ص100)، وقال في حوادث سنة 579هـ/1183م: "قال ابن القادسي: وفي هذه السنة في جمادى الآخرة توفي الأبله الشاعر" (أبو شامة، 1997، ج3، ص201)، وقال في حوادث سنة 588هـ/1192م: "وقال [ابن القادسي]: وفيها في ربيع الآخر توفي أبو المرهف نصر بن منصور النميري الشاعر الأديب" (أبو شامة، 1997، ج4، ص355).

ولهذا سيتم تقسيم الحديث عن منهج ابن القادسي في الفاخر إلى محورين أساسيين؛ يتناول الأول: منهجه في تدوين الحوادث التاريخية، والثاني: منهجه في التراجم، مع التنويه هنا إلى أنه سيتم إيراد نماذج من نصوص ابن القادسي على كل قضية مبحوثة فحسب، إذ لا يتسع المقام لإيراد شواهد كاملة.

أ- منهج ابن القادسي في الحوادث التاريخية:

سبق الحديث عن اعتماد ابن القادسي منهج التأريخ الحولي المرتب على السنين، غير أن النصوص المتبقية من الفاخر تُظهر إمعان ابن القادسي في هذا المنهج، إذ رتّب أحداث السنة التي يؤرخ لها شهراً فشهراً، وعرضها/دونها بناءً على تتابع وقوعها في أيام الشهر ذاته، فكان يذكر اليوم والشهر الذي وقع به الحدث التاريخي، وهو ما يُظهر حرصه الشديد على التأريخ للحدث الذي يؤرخ له، نقل عنه أبو شامة خبر وفاة الخليفة المستضيء وخلافة ابنه الناصر في مطلع شهر ذي القعدة سنة 575هـ/نهاية آذار 1180م، وتابع نقوله عنه قائلاً: "ثم قال ابن القادسي: وفي سابع ذي القعدة قبض على صاحب المخزن ظهير الدين أبي بكر بن العطار [ت 575هـ/1180م]، ...، قال: وفي حادي عشره حمل ابن العطار ميتاً" (أبو شامة، 1997، ج3، ص51-53)، ونقل عنه في أحداث سنة 588هـ/1192م: "قال محمد بن القادسي: وفي مستهل رجب وكُلّ بأمير الحاج طاشتكين" (أبو شامة، 1997، ج4، ص354)، وفي حوادث سنة 589هـ/1193م: "قال محمد بن القادسي: وفي يوم السبت ثالث عشر ربيع الأول شاعت الأخبار، يعني ببغداد، بوفاة صلاح الدين الأيوبي (أبو شامة، 1997، ج4، ص369)، وفي حوادث سنة 589هـ/1193م أيضاً: "قال ابن القادسي: وفي يوم الثلاثاء مستهل الشهر حمل ابن الشهرزوري ما كان أصحابه الأفضل [بن صلاح الدين] من حمل الشام إلى الديوان العزيز" (أبو شامة، 1997، ج4، ص407).

وتبيّن بعض نصوص الفاخر أن ابن القادسي كان يذكر الجزء من اليوم الذي وقع به الحدث، إذ نقل عنه أبو شامة في أحداث سنة 575هـ/1180م: "قال [ابن القادسي]: وفي رابع عشر ربيع الآخر زلزلت الأرض بعد العتمة فوق بلاد إربل، فلما أصبح الناس عادت الزلزلة في الجبال" (أبو شامة، 1997، ج3، ص53-54).

وتُظهر بعض نصوص الفاخر أن ابن القادسي كان يختتم حوادث السنة التي يؤرخ لها بإيراد الأخبار العامة التي لا تاريخ محدد لها، كأخبار الغلاء والوباء أو تنبؤات المنجمين، نقل عنه أبو شامة في أحداث سنة 575هـ/1180م: "قال [ابن القادسي]: وفي هذه السنة اشتد الغلاء وكثر الوباء ببغداد وغيرها من البلاد" (أبو شامة، 1997، ج3، ص53)، ونقل عنه سبط ابن الجوزي، وكذلك أبو شامة، في أحداث سنة 582هـ/1186م قوله: "وفيها حكّم المنجمون في الآفاق بخراب العالم في جمادى الآخرة" (سبط ابن الجوزي، 2013، ج21، ص310؛ أبو شامة، 1997، ج3، ص264). وهو ما يشابه ما انتهجه معاصره المؤرخ ابن الأثير الذي كان يختم حوادث السنة بمجموعة أخبار تحت عنوان "ذكر عدة حوادث" (مثلاً: ابن الأثير، 1986، ج9، ص172، 174، 189). وأبدى ابن القادسي الحرص على التتبع الدقيق للحدث الذي يؤرخ له، وإيراد أدق تفاصيله، نقل عنه سبط ابن الجوزي في أحداث سنة 582هـ/1186م: "ذكر محمد ابن القادسي في الذيل فقال: في يوم عاشوراء فُرش الرماد في الأسواق، وغُلقت المسوح، وناح

أهل الكرخ والمختارة [في] بغداد، وخرج النساء حاسرات يلطنن ويتخُنن من باب البدرية إلى باب حجرة الخليفة، والخلع تقاض عليهن وعلى المنشدين من الرجال، وتعدى الأمر إلى سب الصحابة: أبي بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وعائشة، رضي الله عنهم. وكان أهل الكرخ يصيحون: ما بقي كتمان، وأقاموا امرأة يقال لها: ابنة قرايا من أهل الكرخ، كان ظهير الدين العطار قد كبس دار أبيها، فأخرج منها كتباً في سب الصحابة فقطع يديه ورجليه، ورجمه العامة حتى قتله، فقامت هذه المرأة على دكة تحت منظره الخليفة في الريحانيين وحولها ألوف من الرجال والنساء، وهي تتشد أشعار العوني وغيرها، وتسب عائشة رضوان الله عليها وتقول: العنوا راكبة الجمل، وتذكر حديث الإفك والنبى بأقبح الشناعات" (سبط ابن الجوزي، 2013، ج21، ص309).

ونقل عنه أبو شامة في حوادث سنة 589هـ/1193م: "وقال ابن القادسي: وفي يوم الثلاثاء مستهل رمضان حمل ابن الشهرزوري ما كان أصحابه الأفضل [بن صلاح الدين] من حمل الشام إلى الديوان العزيز، وهو صليب الصليب الذي كان قد أخذه والده، وذكر أنه ذهب يزيد على العشرين رطلاً مرصعاً بالجواهر، ومعه خادم يختص بخدمته، وحمل فرس أبيه وزرديته وخوذته وكانت صفراء مذهبة، ودبوس حديد وسيف، وأربع زرديات، وقالوا: هذه تركته وبها كان يُقاتل. وتحفاً جمّة من الثياب، وحمل في جملة التحف أربع جوار من بنات ملوك الروم، فهين ابنة بيرزان وبنيت صاحب جبلة" (أبو شامة، 1997، ج4، ص407-408). كما نقل عنه أبو شامة في أحداث سنة 582هـ/1186م خبراً طويلاً عن اقتتال أهل مدينة أصفهان بعد قتل حاكمها البهلوان، وتتبع فيه ما تعرض له أهلها من القتل والمصادرة والغلاء والجوع والحريق والنهب، وانتشار العيارين واندلاع الفتن الطائفية بين أهلها (أبو شامة، 1997، ج3، ص271-272).

وأبدى ابن القادسي حرصه على إيراد سبب الحوادث التي يوردها، وهو ما يتجلى ببعض النصوص التي نقلتها المصادر من كتاب الفاخر، منها ما نقله سبط ابن الجوزي عنه في حوادث شهر المحرم سنة 582هـ/أذار 1186م: "وفي هذا الشهر عبر صاحب الباب كمال الدين ابن هبيرة إلى الجانب الغربي في موكبه إلى بستان، وبين يديه أرباب الدولة والسيوف المسلحة، فعاد في آخر النهار من يومه؛ ماشياً، مكشوف الرأس، وبين يديه نقاط، وقد نُثقت لحيته، وعمامته في حلقة، وإلى جانبه مغنية ماشية يقال لها: خطليشي، وكان نُقل إلى الخليفة عنه أنه يعاشر المغنيات والندماء، فاستعظم ذلك حتى فعل به ما فعل" (سبط ابن الجوزي، 2013، ج21، ص309-310).

ونقل عنه أبو شامة السبب الذي أورده للصدام بين حجاج العراق وحجاج الشام في موسم حج عام 853هـ/1187م، والذي أسفر عن مقتل أمير الحاج الشامي شمس الدين ابن المقدم، فقال: "وقال محمد بن القادسي في تاريخه، ونقلته من خطه: أراد أمير الحاج بالشام وهو ابن المقدم أن يرفع علماً على الجبل بالموقف فمنعه أمير الحاج [العراقي] طاشكتين، وجرت بينهما مراجعات أفضت إلى الخصومة بين حاج العراق وحاج الشام ونهّب البعض للبعض، وجرت جراحات فُرح ابن المقدم، ولم تُغيّر العادة في ذلك وأفاض الناس، ومات ابن المقدم بمنى في اليوم الثاني" (أبو شامة، 1997، ج3، ص425). كما نقل عنه أبو شامة سبب غضب الخليفة الناصر من صلاح الدين الأيوبي على اختياره للرسول الحامل لبشارته للخلافة العباسية بانتصاره على الفرنجة في معركة حطين 583هـ/1187م، فقال: "وذكر ابن القادسي: أن الجندي الذي أرسله صلاح الدين بالبشارة يُعرف بالرشيد بن البوشنجي. قال: وكان صبيّاً كثير الإديار مشمرّاً في دروب بغداد، ثم توجه إلى الشام هارباً من الفقر، فحين وصل إلى بغداد رسولاً؛ قامت القيامة برسالته، وكُتبت إلى صلاح الدين بالإنكار عليه، وقيل له: ما كان في أصحابك أميز من هذا ترسله إلى الديوان" (أبو شامة، 1997، ج3، ص423).

ونقل عنه أبو شامة خبر اعتقال الخليفة الناصر لأمير الحاج طاشكتين في سنة 588هـ/1192م فقال: "قال محمد بن القادسي: وفي مستهل رجب وكّل بأمير الحاج طاشكتين... ثم قبض عليه، وسببه أنه اتهم بمكاتبة السلطان صلاح الدين، رحمه الله، فيما يتعلق بقلب الدولة، وأظهر عليه أستاذ الدار أبو المظفر بن يونس كتاباً قيل أنه خطه وفيه: المصلحة مهادنة الفرنج والمجيء إلى البلاد، فما يقف بين أيديكم، والبلاد لكم إذا ملكتك العراق، وهذا وقتكم إن كان لكم نية، وأنا مشدود الوسط في الخدمة" (أبو شامة، 1997، ج4، ص354-355).

ويظهر في بعض النصوص التي احتفظت بها المصادر من كتاب الفاخر أن ابن القادسي كان يقف موقف الناقد تجاه بعض الأخبار التي يوردها، منها ما كان يورده مصرحاً به، ومنه ما كان يورده بصورة ضمنية مبطنة تفهم من السياق، فمما صرح بنقده ما نقله عنه أبو شامة من خبر اعتقال أمير الحاج العراقي طاشكتين في سنة 588هـ/1186م، لاتهامه بمكاتبة صلاح الدين وحضه على غزو العراق إذ قال: "ثم ذكر ابن القادسي أن ذلك مُستبعد في حق طاشكتين، وزور وبهتان، ونسب ذلك إلى افتعال [أستاذ الدار] ابن يونس عليه" (أبو شامة، 1997، ج4، ص355). أما نقده المبطن فيتضح فيما نقله عنه أبو شامة في أحداث سنة

1186/582م إذ قال : "قال ابن القادسي: وحكم أصحاب النجوم أن في الثامن والعشرين من جمادى الآخرة من هذه السنة تقترن الكواكب السيارة الخمسة والشمس والقمر في برج الميزان، ويؤثر ذلك هواءً عظيماً وخيماً سمومياً، وفي يوم الثلاثاء التاسع والعشرين تهلك البلاد ويحمل الرمل... فاستعد لذلك أقوام في البلاد... فأهل رجب وما جرى به لما قالوا شيء، فحزى أهل التجيم لذلك، ولم يهب في ذلك اليوم هواء البتة، وكان الزمان حاراً، واشتد الحر في ذلك اليوم وبعده، ولم يظهر مما قالوا شيء، وعمل الشعراء في ذلك شعراً يزررون عليهم في حكمهم" (أبو شامة، 1997، ج3، ص264-265).

وحرص ابن القادسي على إيراد كتب المراسلات، الرسمية منها أو الشخصية، المتعلقة بالحوادث التي يؤرخها، نقل عنه أبو شامة في حوادث سنة 1180/575م خبر تردد البهلوان بن إيلدكز بالخطبة للخليفة الناصر، وفيه: "وجاء كتاب شيخ الشيوخ [موفد الخليفة إلى البهلوان] إلى الديوان: سطرها فلان، والحال في الجنوح كقصة نوح، من قرأ السورة عرف الصورة" (أبو شامة، 1997، ج3، ص53). ونقل عنه أبو شامة رسائل من صلاح الدين الأيوبي "إلى بعض أهله" يخبره فيها بفتوحاته الأولى بعد الانتصار على الفرنجة في معركة حطين سنة 1187/583م (أبو شامة، 1997، ج3، ص328-329)، كما نقل عنه رسائل من الفقيه الحنبلي ابن قدامة المقدسي (ت620هـ/1223م) أرسلها إلى الحنابلة في بغداد، على ما يبدو، يتحدث بها عن انتصار المسلمين في معركة حطين 1187/853م (أبو شامة، 1997، ج3، ص297-299).

واستشهد ابن القادسي بالشعر للحدث الذي يؤرخ له، وهو ما يظهر في ما نقله عنه أبو شامة في حوادث سنة 1186/582م بخبر تنبؤ المنجمين بهلاك البلاد فيها، وبطلان تنبئهم، إذ قال ابن القادسي معقّباً عليه: "ولم يظهر مما قالوا شيء، وعمل الشعراء في ذلك شعراً يزررون عليهم في حكمهم"، وأورد قصيدتين شاهداً على ذلك (أبو شامة، 1997، ج3، ص164-266).

ب - منهج ابن القادسي في التراجم:

توحي نصوص التراجم التي نقلها ابن رجب في كتابه الذيل على طبقات الحنابلة من كتاب الفاخر أن ابن القادسي اقتصر في تراجمه على الحنابلة وفي بغداد تحديداً، غير أن نقول أبي شامة من كتاب الفاخر تؤكد أن ابن القادسي شمل بتراجمه جميع الشخصيات الفاعلة في الحقبة التي أرخ لها سواء كانت رسمية أو علمية أو أدبية، من الحنابلة وغيرهم، إذ نقل عنه أبو شامة ترجمة الخليفة المستضيء (أبو شامة، 1997، ج3، ص52)، وبعض أعلام بغداد من الشافعية (أبو شامة، 1997، ج3، ص100)، والنحاة (أبو شامة، 1997، ج3، ص100، 267)، والشعراء (أبو شامة، 1997، ج3، ص201، 426، 4)، والصوفية (أبو شامة، 1997، ج3، ص210). ولم يقتصر ابن القادسي في تراجمه على بغداد فحسب، بل ترجم للشخصيات البارزة خارجها، إذ احتفظ أبو شامة بتراجمته لابن بري المقدسي المصري (أبو شامة، 1997، ج3، ص267)، وبنص من ترجمته لتاج الملوك بن أيوب أخو صلاح الدين (أبو شامة، 1997، ج3، ص159).

ويبدو أن ابن القادسي اتبع في تراجمه المنهج الذي كان قد استقر عند علماء التراجم قبله، إلا أنه توسع في ذكر مناصب من ترجم لهم، وجاءت عناصر الترجمة عند ابن القادسي على النحو الآتي:

إيراد الاسم الكامل واسم الشهرة للمترجم له (أبو شامة، 1997، ج3، ص100، 201-202، 426، ج4، ص355)، وتفسير اسم الشهرة أو تبيان نسبته (أبو شامة، 1997، ج3، ص201-202؛ ابن رجب، 2005، ج3، ص83)، وذكر تاريخ مولده (أبو شامة، 1997، ج3، ص159، 210، 426)، وطلبه للعلم وأبرز شيوخه (أبو شامة، 1997، ج3، ص267، ج4، ص355؛ ابن رجب، 2005، ج2، ص427، 465، ج3، ص185)، ووصف مكانته العلمية وأخلاقه (أبو شامة، 1997، ج3، ص100، 210، 426؛ ابن رجب، 2005، ج2، ص427، 440، 443، 486، 519، 540، ج3، ص58، 61، 87، 162، 164)، وأقوال العلماء فيه (ابن رجب، 2005، ج2، ص425، 486-487، ج3، ص83)، وتسمية أبرز تلامذته (أبو شامة، 1997، ج3، ص426، 427؛ ابن رجب، 2005، ج2، ص519، 540)، وإيراد مصنفاًته أو الإشارة إلى تصنيفه (أبو شامة، 1997، ج3، ص100، ج4، ص356؛ ابن رجب، 2005، ج2، ص440، 493، ج3، ص185).

وحرص ابن القادسي على ذكر المناصب الرسمية التي تولها من يترجم له (أبو شامة، 1997، ج3، ص210، 426؛ ابن رجب، 2005، ج2، ص428، ج3، ص107، 156)، والمهام الرسمية التي أوكلت إليه (أبو شامة، 1997، ج3، ص210؛ ابن رجب، 2005، ج3، ص156)، ولا يفوته ذكر ما عاناه بعض من يترجم لهم من المرض (أبو شامة، 1997، ج3، ص426، ج4، ص355-356)، أو ما نزل بهم من النكبات والعقوبات (ابن رجب، 2005، ج2، ص440، 505، ج3، ص151، 156). كما يورد في ترجمة بعضهم نماذج من شعره إن كان شاعراً (أبو شامة، 1997، ج3، ص202، 210، ج4، ص356)، أو ما مدح به من الشعر (ابن رجب، 2005، ج2، ص540).

ويختتم ابن القادسي الترجمة بالتحديد الدقيق لتاريخ وفاة من يترجم له، فيذكر الجزء من اليوم واليوم والشهر الذي توفي فيه، ضمن السنة التي يؤرخ لها، ووقت الصلاة عليه ومكانها، وأحياناً من أم صلاة الجنازة ومكان دفنه بالتحديد، بل أنه يُسمي المقبرة أو التربة التي دفن بها ومن جاور في قبره، ويشير إلى مراسم تشييعه، وحضور الناس إياه (ابن رجب، 2005، ج2، ص421، 440، 519، 540، ج3، ص88، 108، 151، 163، 185).

ويتضح من نقول أبي شامة من كتاب الفاخر أن ابن القادسي لم يُرتب تراجم المتوفين خلال السنة التي يؤرخ لها على حروف المعجم، وهو المنهج الذي اتبعه شيخه ابن الجوزي في المنتظم، بل قام بترتيب التراجم حسب ترتيب وقوعها شهراً فشهراً خلال السنة، ويوماً فيوم خلال الشهر ذاته، إذ نقل عنه أبو شامة في وفيات سنة 1181هـ/1181م: "قال ابن القادسي؛ وفيها عشية الخميس ثامن شعبان توفي الإمام كمال الدين أبو البركات" الانباري النحوي، ثم ساق ترجمته. (أبو شامة، 1997، ج3، ص100)، وفي وفيات سنة 1183هـ/1183م: "قال ابن القادسي: وفي هذه السنة في جمادى الآخرة توفي الأبله الشاعر" ثم سرد ترجمته (أبو شامة، 1997، ج3، ص201)، وفي وفيات سنة 1186هـ/1186م: "قال [ابن القادسي]: وفي السابع والعشرين من شوال توفي أبو محمد عبدالله بن بري" النحوي، ثم أورد ترجمته (أبو شامة، 1997، ج3، ص267)، وفي سنة 1187هـ/1187م: "قال [ابن القادسي]: وفي ثاني شوال هذه السنة توفي أبو الفتح محمد بن عبدالله بن سبط ابن التعاويذي الشاعر [ثم ساق ترجمته]... وقال: وفي خامس رمضان توفي الفقيه الحنبلي" ابن المنى، ثم أورد ترجمته (أبو شامة، 1997، ج3، ص426). ويبدو أن ورود وفيات رمضان بعد شوال هو من تجزئة أبو شامة لنصوص الفاخر وتصرفه فيها، وفي وفيات سنة 1192هـ/1192م: "قال [ابن القادسي]: وفيها في ربيع الآخر توفي أبو المرهف نصر بن منصور النميري الشاعر" ثم سرد ترجمته (أبو شامة، 1997، ج3، ص355). ويتجلى في هذه النصوص أن ابن القادسي رتب تراجم الوفيات كما رتب الأحداث التاريخية بناءً على تسلسل وقوعها في الشهور، وترتيب تواريخها في أيام الشهر، وقد سار على هذا النهج بعد القادسي: المنذري (ت656هـ/1258م) في كتاب التكملة، وإن اقتصر على الوفيات فحسب.

موارد ابن القادسي في كتاب الفاخر:

يُعدّ عدم وصول كتاب الفاخر عائناً رئيساً أمام الحديث المفصل عن موارد ابن القادسي في كتاب الفاخر، إلا أن النصوص المتبقية في المصادر، المتوفرة، تتيح إلقاء الضوء على مواده بشكل عام التي يمكن تقسيمها بناءً على المراحل العمرية لابن القادسي من جهة، والنطاق الزمني لكتاب الفاخر (575-616هـ/1179-1220م) من جهة أخرى، إلى قسمين أساسيين لكل منهما مواده الخاصة، على النحو الآتي:

1) الحقبة الزمنية 575-590هـ/1179-1194م، والتي كان ابن القادسي خلالها، في ضوء تاريخ مولده المرجح سابقاً سنة 1174هـ/1174م، في مراحل الطفولة والصبا والشباب، والتي عيّنت خلالها بطلب العلم على علماء بغداد، وبدأ بها اهتمامه بعلم التاريخ والإطلاع على ما صُنّف فيه، وبأن عليه "اعتناء بالتواريخ وغير ذلك من الحوادث" (ابن نقطة، 1991، ج4، ص529؛ المنذري، 1984، ج3، ص392)، مما يعني أنه اعتمد في التأريخ لهذه الحقبة على مصنفات تاريخية سابقة معاصرة، أو روايات شفوية لمعاصرين لها، منها ما صرح ابن القادسي بنقله عن والده في ترجمة سعد بن عثمان القرشي البغدادي (ت592هـ/1196م) بما لم يعاصره من أحواله (ابن رجب، 2005، ج2، ص419)، غير أن نصوص الفاخر في المصادر المتوفرة لا تقدم مزيداً من الشواهد على ذلك.

2) الحقبة الزمنية 590-616هـ/1194-1220م: وهي حقبة مُعاصرة ابن القادسي الواعية للأحداث التي بدأت بدخوله العقد الثالث من عمره، وتبدى فيها اهتمامه بجمع الأخبار وتدوينها مشاهدة أو سماعاً، وهو ما يُؤشر عليه ما نقله عنه سبط ابن الجوزي في أحداث سنة 1194هـ/1194م: "قال ابن القادسي: وحكى لي عمر بن كليب التاجر" قصة حدثت معه في بلاد الروم (سبط ابن الجوزي، 2013، ج22، ص230)، ويتأكد بما رواه من مشاهداته أو سماعه عن نكبة شيخه ابن الجوزي سنة 1194هـ/1194م (ابن رجب، 2005، ج2، ص505، ج3، ص156)، ويتضح بصورة قاطعة بالتفاصيل الدقيقة التي أوردتها في تراجم العلماء المتوفين منذ مطلع العقد الأخير من القرن 6هـ/12م (ابن رجب، 2005، ج2، ص425، 428، 443).

وبشكل عام يمكن إجمال موارد ابن القادسي في ضوء نقول المصادر، المتوفرة، في كتاب الفاخر بالآتي:

1) معاصرته للأحداث والشخصيات، وتدوين مشاهداته، وهو ما يظهر فيما أرّخه فيما صدر عن الخليفة الناصر من قرارات (سبط ابن الجوزي، 2013، ج22، ص30)، أو تعيينات (ابن رجب، 2005، ج3، ص107، 156-157)، أو ما استقبله من وفود رسمية (أبو شامة، 1997، ج4، ص407)، وما وقع في مدينة بغداد من غرائب اجتماعية أو صحفية (الذهبي، 2003،

ج13، ص8)، ومجالس العلماء العلمية والوعظية (سبط ابن الجوزي، 2013، ج22، ص6، ابن رجب، 2005، ج3، ص65، 82، 160)، والمناصب التي تولوها، ووفياتهم ومراسم دفنهم (ابن رجب، 2005، ج2، ص428، 443، 519، ج3، ص87-88، 107، 163، 184).

(2) الكتب الرسمية الصادرة عن الحكام، إذ نقل عنه أبو شامة ثلاثة نصوص من رسائل بعثها صلاح الدين الأيوبي "إلى بعض أهله" يتحدث فيها عن فتوحات الأولى بعد انتصاره على الفرنجة في معركة حطين سنة 583هـ/1187م (أبو شامة، 1997، ج3، ص328-329)، ويبدو أن هذه الكتب من "البشارات" التي كان صلاح الدين يرسلها إلى البلاد.

(3) مراسلات العلماء في الأقاليم الإسلامية لعلماء بغداد عن الأحداث في بلادهم، منها ما نقله أبو شامة في الروضتين من نصوص من ثلاثة رسائل أرسلها الفقيه الحنبلي ابن قدامة المقدسي (ت 620هـ/1223م) من بلاد الشام عن انتصار المسلمين في معركة حطين في سنة 583هـ/1187م إذ قال في أحداث سنة 583هـ/1187م: "وذكر محمد بن القادسي في تاريخه: انه ورد في هذه السنة كتب إلى بغداد في وصف هذه الواقعة، منها كتاب من عبدالرحمن بن أحمد المقدسي يقول فيه... " (أبو شامة، 1997، ج3، ص297-299).

(4) الحجاج، إذ اعتمد عليهم ابن القادسي في أخبار موسم الحج وما شهدته من أحداث، والأحداث التي حدثت في مدينة مكة المكرمة، نقل عنه أبو شامة في أحداث سنة 582هـ/1186م: "قال ابن القادسي: وقدم الحاج في عاشر صفر فأخبروا: أن سيف الإسلام أبا صلاح الدين ملك مكة وضرب الدنانير فيها باسم أخيه، ومنع من قولهم: حي على خير العمل، وشرط على العبيد أن لا يؤذوا الحاج، وأخبر الحاج: أن قفل باب الكعبة تعسر حتى فُتح، ولما فُتح مات في الدوسة أربعة وثلاثون شخصاً بين رجل وامرأة" (أبو شامة، 1997، ج3، ص271). ونقل عنه أيضاً في أحداث سنة 587هـ/1191م: "قال ابن القادسي: ووصل الحاج في صفر وأخبروا: أن داود أمير مكة أخذ ما في الكعبة من الأموال..." (أبو شامة، 1997، ج4، ص295).

(5) التجار، يبدو أن ابن القادسي اعتمد على الأخبار التي يرويها التجار عن البلاد التي ارتحلوا إليها، إذ نقل عنه سبط ابن الجوزي في أحداث سنة 590هـ/1194م: "قال القادسي: وحكى لي عمر بن كليب التاجر" قصة حدثت معه في بلاد الروم (سبط ابن الجوزي، 2013، ج22، ص30)، ومع أن الخبر هذا لا يتعلق بحدث تاريخي إلا أنه يؤشر على اعتماد ابن القادسي على التجار في بعض أخباره عن البلاد التي قصدوها في تجارتهم.

(6) المعاصرون للأحداث والشخصيات أو الشهود عليهما، كروايته عن والده (ابن رجب، 2005، ج2، ص419، 433)، وعن عبدالعزيز بن دلف الخازن ت 627هـ/1229م (ابن رجب، 2005، ج3، ص150).

(7) العلماء بما يتعلق بهم من أخبار أو معلومات، كروايته عن شيخه ابن الجوزي تاريخ مولده (ابن رجب، 2005، ج2، ص462).

(8) ما استفاض خبره وشاع بين الناس لأهميته أو لفظاعته، كقوله في أحداث سنة 589هـ/1193م: "وفي يوم السبت ثالث عشر ربيع الأول شاعت الأخبار، يعني ببغداد، بوفاة صلاح الدين يوسف بن أيوب" (أبو شامة، 1997، ج4، ص369). وقوله في أحداث سنة 582هـ/1186م: "وصل الخبر أن ربحاً هبت بالبصرة فكسرت نخيلاً كثيراً وماتت بهائم كثيرة، ووصل الخبر إلى بغداد بقتل البهلوان وإن القتال وقع هناك وأحرقت المحال وتضيق الأحوال واقتتل أهل المذاهب واحترقت مدارس..." (أبو شامة، 1997، ج3، ص271).

ميول ابن القادسي في كتاب الفاخر

نتيح النصوص المتبقية من كتاب الفاخر في المصادر، على قلتها، إلقاء الضوء على الأطر العامة لميول ابن القادسي فيه، والتي يمكن إجمالها في الآتي:

(1) الميول الشخصية: التي ظهرت في بعض تراجمه تجاه الأعلام الذين ترجم لهم، حيث يُظهر إطراره الكبير للشخصيات التي يُكن لها المحبة والاحترام كشيخه ابن الجوزي (ابن رجب، 2005، ج2، ص486)، في ذات الوقت الذي هاجم به شخصيات أخرى وانتقصها كالفقيه الحنبلي وزير الخليفة الناصر: عبدالله بن يونس (ت 593هـ/1197م) الذي بالغ في ذمه والتهمج عليه، فقال بعد أن أقر بمكانته العلمية: "إلا أن شأن أفعاله بسوء أعماله، بأغراضه الفاسدة والحسد الذي كان معه، والطرائق التي كانت غير مرضية، فأبغضه الناس وسبوه، وكان فيه سؤدته وجنون"، وفسر ابن رجب موقف ابن القادسي المعادي للوزير ابن يونس بقوله: كان "ابن القادسي في تاريخه يذمه كثيراً، وقد ذكر أنه أذى أباه فصار ذا غرض معه" (ابن رجب، 2005، ج2، ص440).

(2) الميول الطائفية السنية: ظهر منه الإدانة لمعتقدات الشيعة في صحابة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وهو ما يتضح بما

رواه عن مسيرة الحداد العاشورية في بغداد سنة 582هـ/1186م وما شابها من سبٍ وطعن فيهم (سبط ابن الجوزي، 2013، ج21، ص309؛ الذهبي، 2003، ج12، ص267).

3) الميول الحنبلية الداخلية: أظهر ابن القادسي في نصوصه المتوافرة مواقف معتدلة تجاه الأعلام الذين ترجم لهم من غير الحنابلة، سواء كانوا من الشافعية أو الصوفية أو النحاة أو الشعراء، فوصفهم بعبارات الاحترام والتوقير، وأشاد بأخلاقهم ومكانتهم العلمية والأدبية والاجتماعية (أبو شامة، 1997، ج3، ص100، 201، 267، 426، ج4، ص355). إلا أن مواقفه تجاه رجالات المذهب الحنبلي تُوضِّح انحيازه إلى جناح شيخه ابن الجوزي ضد مناوئيه أو منافسيه من الحنابلة، وهو ما يتبين بانقصاصه لهم (ابن رجب، 2005، ج2، ص505، ج3، ص82-84)، والدفاع عن ابن الجوزي والتماس العذر له في بعض ما تحفظ عليه جناح من الحنابلة أنفسهم وأكروه عليه، خاصة في قضية التأويل (ابن رجب، 2005، ج2، ص486-487).

4) الميول السياسية العباسية: أبدى ابن القادسي انحيازه التام للخلافة العباسية ومواقفها ضد القوى الإسلامية في عهد الخليفة الناصر، وهو ما يتضح بجلاء في نصوص كتاب الفخر المتبقية في المصادر عن صلاح الدين الأيوبي، الذي كان الخليفة الناصر يرصد تنامي مكانته في العالم الإسلامي ويستشعر خطره على خلافته (المقابلة، 2012، ص228 وما بعدها)، وهو ما انعكس على موقف ابن القادسي من صلاح الدين في كتاب الفخر إذ كان يتعمد في بعض أخباره عنه ذكره باسمه فحسب "يوسف بن أيوب"، وهو ما أثار حفيظة سبط ابن الجوزي، الذي صدّر نفسه للرد عليه، مؤكداً تعمد ابن القادسي الانتقاص من صلاح الدين، واصفاً إياه بقوله: "كان عامياً يتعمد المثالب" (سبط ابن الجوزي، 2013، ج21، ص343).

وقد قسّم سبط ابن الجوزي ردوده على ابن القادسي إلى قسمين؛ الأول اعتبره خطأ غير مقصود لا يحمل الإساءة، وعبر عنه في ردوده بوصفه بالوهم، فقال في أخبار تحرير مدينة القدس من الفرنجة سنة 583هـ/1187م: "قال ابن القادسي في ذيله: (أن صلاح الدين خطب بالبيت المقدس). وهو وهم منه" (سبط ابن الجوزي، 2013، ج21، ص322)، وقال في أخبار وفاة صلاح الدين ودفنه سنة 589هـ/1193م: "قال ابن القادسي: (ودُفن معه سيفه، وقال [القاضي] الفاضل: هذا يتوكأ عليه في الجنة). وهو وهم من ابن القادسي؛ لأن سيفه بعث به ولده الأفضل إلى بغداد" (سبط ابن الجوزي، 2013، ج22، ص22).

وأما القسم الثاني من أخبار ابن القادسي عن صلاح الدين فقد اعتبره سبط ابن الجوزي تشويهاً مقصوداً لشخص صلاح الدين: نسباً ومكانةً وجهاداً، وانتقاصاً غير مبرر لاختياراته وأفعاله، وهو ما عبّر عنه سبط ابن الجوزي بوصفه "هنات ابن القادسي"، فقال في أول ترجمته لصلاح الدين بن يوسف بن شاذي: "وقال ابن القادسي: (كان شاذي مملوك بهروز الخادم). وهذه من هنات ابن القادسي، ما كان شاذي مملوكاً قط، ولا جرى على أحد من بني أيوب رق، وإنما شاذي خدم بهروز فاستتابه في قلعة تكريت" (سبط ابن الجوزي، 2013، ج22، ص18)، وقال في أخبار استيلاء الخليفة الناصر وغضبه من صلاح الدين لاختياره ابن البوشنجي رسولاً إلى دار الخلافة بحمل بشارة الانتصار على الفرنجة في معركة حطين سنة 583هـ/1187م والفتوحات التي تلتها: "وقد ذكر محمد بن القادسي قصة ابن البوشنجي فقال: (كان أمرد في دروب بغداد، فطالت لحيته فخرج إلى الشام، فخدم يوسف بن أيوب وسأله أن يرسله إلى الديوان في رسالة فأرسله، فقامت القيامة على الديوان، فلما عاد ابن البوشنجي إلى الشام أكثر كلامه، فما مضى إلا أسبوع حتى جاءته نشابة فذبحته، وكان ذلك عقوبة لما بسط به لسانه). قلت: وهذه من هنات ابن القادسي، فإنه كان عامياً يتعمد المثالب، وقد أساء الأدب في مواضع، منها قوله: كان أمرد في دروب بغداد، ومنها قوله عن السلطان: يوسف بن أيوب وما ذكره ببعض ألقابه، ومنها قوله: جاءته نشابة فذبحته، جعل الشهادة في سبيل الله عقوبة" (سبط ابن الجوزي، 2013، ج21، ص343).

وأورد سبط ابن الجوزي في حديثه عن معركة أرسوف بين صلاح الدين والفرنجة سنة 587هـ/1191م: "فقال ابن القادسي: (انهزم صلاح الدين في ذلك اليوم ورجع في عسكر الموصل، وكانوا في ألف فارس، وقتل من الكفار مئة ألف وأربعين ألفاً). وقال المصنف رحمه الله: هذه من هنات ابن القادسي، وأما قوله إن صلاح الدين انهزم فما انهزم صلاح الدين قط في ذلك اليوم ولا غيره" (سبط ابن الجوزي، 2013، ج21، ص387). ويبدو أن تجاوزات ابن القادسي طالت أولاد صلاح الدين من بعده أيضاً، إذ ردّ عليه ابن القادسي في ترجمته للعزير بن صلاح الدين (سبط ابن الجوزي، 2013، ج22، ص69).

ومن الجلي أن نصوص ابن القادسي التي انبرى سبط ابن الجوزي للرد عليها تهدف إلى انتقاص صلاح الدين، والتأثير على صورته في العالم الإسلامي آنذاك، وهو ما يتماشى مع مساعي الخليفة الناصر لتجسيم صلاح الدين، غير أن ردود سبط ابن الجوزي وحديثه فيها تعكس أيضاً انتشار كتاب الفخر وتداوله من جهة، وقوة تأثيره على صورة صلاح الدين من جهة أخرى، وهو ما استقر سبط ابن الجوزي للرد عليه للحفاظ على صورة صلاح الدين ومكانته.

الخاتمة

خلص البحث في نهايته إلى النتائج الآتية:

ولد المؤرخ محمد بن أحمد القادسي ترجيحاً في مدينة بغداد في حدود سنة 570هـ/1174م، وتلقى العلم على عدد من ابرز علماء بغداد آنذاك، واستمر بسكنى مدينة بغداد حتى وفاته بها سنة 632هـ/1235م. واشتهر ابن القادسي باعتماده الفائق بعلم التاريخ، والتأليف فيه، وقد وصل إلينا عنوانين لكتابين له، أولهما: تاريخ الوزراء، وثانيهما: الفاخر في ذكر حوادث أيام الإمام الناصر، والذي اشتهر بين المعتمدين بعلم التاريخ بعنوان: "ذيل تاريخ ابن الجوزي".

عُدَّ كتاب "الفاخر في ذكر حوادث أيام الإمام الناصر" آخر المصنفات التاريخية الأساسية في سلسلة المؤلفات التاريخية البغدادية، مما صدره ليكون احد أهم المصادر التاريخية لمن جاء بعده من المؤرخين لتاريخ الخلافة العباسية في الحقبة الزمنية 575-616هـ/1179-1220م، والتي تشغل الشطر الأكبر من عهد الخليفة العباسي الناصر لدين الله (575-622هـ/1180-1225م)، إذ انفرد بكثير من المعلومات الخاصة بالخلافة العباسية والعراق، وبدا وكأنه يُعَبِّرُ عن وجهة نظر الخلافة العباسية إزاء العديد من الأحداث والقوى الإسلامية. كما أولى ابن القادسي اهتمامه بالحياة العلمية في عصره، فكان يعقّب حوادث السنة التي يؤرخ لها بترجم العلماء الذين توفوا خلالها.

اعتمد ابن القادسي في كتاب الفاخر منهج التأريخ الحولي المرتب على السنين، وأظهر حرصه الشديد على التأريخ الدقيق وإيراد أدق تفاصيل الحدث الذي يؤرخ له، وعمد إلى تحليل بعض الأحداث وإيراد أسبابها، وإيراد كتب المراسلات المتعلقة بها. كما كان يقف موقف الناقد تجاه بعض الأخبار التي يوردها. ورَتَّب ابن القادسي تراجم الإعلام الذين توفوا خلال السنة التي يؤرخ لها حسب ترتيب وقوعها شهراً فشهراً خلال السنة، ويوماً فيوم خلال الشهر ذاته، مبدياً حرصه على إجمال أهم المعلومات عن الإعلام الذين يترجم لهم من ولادتهم وحتى وفاتهم وبتركيز بين.

اعتمد ابن القادسي في تدوين الأحداث التاريخية والمعلومات عن العلماء الذين ترجم لهم كتابه الفاخر على: معاصرته للأحداث والشخصيات، وتدوين مشاهداته ومسموعاته مما استفاض خبره وشاع بين الناس لأهميته أو لفظاعته، والكتب الرسمية الصادرة عن الحكام، ومراسلات العلماء في الأقاليم الإسلامية لعلماء بغداد عن الأحداث في بلادهم، كما اعتمد على الحجاج في أخبار موسم الحج وما شهدته من أحداث، كما يبدو أنه اعتمد على الأخبار التي يرويها التجار عن البلاد التي ارتحلوا إليها، إضافة إلى روايته عن المعاصرين للأحداث والشخصيات أو الشهود عليهم، وعلى العلماء بما يتعلق بهم من أخبار أو معلومات.

تظهر النصوص المتبقية من كتاب الفاخر في المصادر ميول ابن القادسي فيه، والتي يمكن إجمالها في: الميول الشخصية، والتي ظهرت في بعض تراجمه تجاه الإعلام الذين ترجم لهم، والميول الطائفية السنية، حيث ظهر منه الإدانة لمعتقدات الشيعة، والميول الحنبلية الداخلية: حيث أبدى انحيازه إلى جناح شيخة ابن الجوزي ضد مناوئيه أو منافسيه من الحنابلة. والميول السياسية العباسية حيث أظهر انحيازه التام للخلافة العباسية وموقفها ضد القوى الإسلامية في عهد الخليفة الناصر، وهو ما يتضح بجلاء في نصوص كتاب الفاخر المتبقية في المصادر عن صلاح الدين الأيوبي، الذي كان الخليفة الناصر يرصد تنامي مكانته في العالم الإسلامي ويستشعر خطره على خلافته، وهو ما اعتبره سبط ابن الجوزي (ت 654هـ/1256م) تشويهاً مقصوداً لشخص صلاح الدين: نسباً ومكانةً وجهاداً، وانقاصاً غير مبرر لاختياراته وأفعاله، فانبرى للرد على ابن القادسي. غير أن ردود سبط ابن الجوزي وجدته فيها تعكس انتشار كتاب الفاخر وتداوله بين الناس وقوة تأثيره فيهم آنذاك.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

- ابن الأثير، (1986)، علي بن محمد (ت 630هـ/1232م)، الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت.
- البرزالي، (2006)، القاسم بن محمد (ت 739هـ/1338م)، المقتفى على كتاب الروضتين المعروف بتاريخ البرزالي، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.
- ابن تغري بردي، (1936)، يوسف بن تغري بردي (ت 874هـ/1470م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة.
- ابن الجزري، (2006)، محمد بن محمد (ت 833هـ/1429م)، غاية النهاية في طبقات القراء، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن الجوزي، (1992)، عبد الرحمن بن علي (ت 597هـ/1200م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن حجر، (1967)، أحمد بن علي (ت 852هـ/1448م)، تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، تحقيق: علي محمد الجاوي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة.
- ابن خلكان، (1977)، أحمد بن محمد (ت 681هـ/1282م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.
- ابن الدبيشي، (2006)، محمد بن سعيد (ت 637هـ/1239م)، ذيل تاريخ مدينة السلام، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- الذهبي، (2003)، محمد بن أحمد (ت 748هـ/1348م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- الذهبي، (1996)، محمد بن أحمد (ت 748هـ/1348م)، سير أعلام النبلاء، اشرف على تحقيق الكتاب وخرج أحاديثه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- الذهبي، (1984)، محمد بن أحمد (ت 748هـ/1348م)، العبر في خير من غير، تحقيق: صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت، الكويت.
- الذهبي، (1988)، محمد بن أحمد (ت 748هـ/1348م)، معرفة القراء الكبار على الطبقات والاعصار، تحقيق: بشار عواد معروف وشعيب الأرنؤوط وصالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ابن رجب، (2005)، عبد الرحمن بن أحمد (ت 795هـ/1393م)، الذيل على طبقات الحنابلة، تحقيق: عبد الرحمن العثيمين، مكتبة العبيكان، الرياض.
- سبط ابن الجوزي، (2013)، يوسف بن قزأولي (ت 654هـ/1256م)، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق: إبراهيم الزبيق وآخرون، دار الرسالة العالمية، دمشق.
- السخاوي، (1986)، محمد بن عبد الرحمن (ت 902هـ/1497م)، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ، تحقيق: فرانز روزنثال، ترجمة: صالح أحمد العلي، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- السمعاني، (1988)، عبد الكريم بن محمد (ت 562هـ/1166م)، الأنساب، تحقيق: عبد الله البارودي، دار الجنان، بيروت.
- السيوطي، (1988)، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ/1505م)، تاريخ الخلفاء، دار الكتب العلمية، بيروت.
- أبو شامة، (1974)، عبد الرحمن بن إسماعيل (ت 665هـ/1266م)، تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين، عني بنشره: السيد عزت العطار الحسيني، دار الجيل، بيروت.
- أبو شامة، (1997)، عبد الرحمن بن إسماعيل، (ت 665هـ/1266م)، الروضتين في أخبار الدولتين، تحقيق: إبراهيم الزبيق، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- الصفدي، (1974)، خليل بن أبيك (ت 764هـ/1362م)، الوافي بالوفيات، ج 2، باعتهاء: س. ديدرينغ، دار النشر فرانز شتاينر بفسبادن.
- ابن عبد الهادي، (1996)، محمد بن أحمد (ت 744هـ/1343م)، طبقات علماء الحديث، تحقيق: أكرم البوشي وإبراهيم الزبيق، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- العلمي، (1997)، عبد الرحمن بن محمد (ت 928هـ/1522م)، المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد، أشرف على تحقيق الكتاب وخرج أحاديثه: عبد القادر الأرنؤوط، دار صادر، بيروت.
- ابن العماد، (1991)، عبد الحي بن أحمد (ت 1089هـ/1678م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق - بيروت.

- العيني، (2010)، بدر الدين محمود (ت 855هـ/1451م)، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان (العصر الأيوبي)، تحقيق: محمود رزق محمود، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة.
- الفاصي، (1956)، محمد بن احمد (ت 832هـ/1429م)، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي، القاهرة.
- ابن الفوطي، (1416هـ)، عبد الرزاق بن أحمد (ت 723هـ/1323م)، مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق: محمد الكاظم، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران.
- القفطي، (2005)، علي بن يوسف (ت 646هـ/1248م)، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، علق عليه ووضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن كثير، (1998)، إسماعيل بن عمر (ت 774هـ/1372م)، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله التركي، هجر للطباعة والنشر، الجزيرة.
- ابن مفلح، (1990)، إبراهيم بن محمد (ت 884هـ/1479م)، المقصد الأرشدي في ذكر أصحاب الإمام أحمد، تحقيق: عبد الرحمن العثيمين، مكتبة الرشد، الرياض.
- المنذري، (1984)، عبد العظيم بن عبد القوي (ت 656هـ/1258م)، التكملة لوفيات النقلة، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ابن ناصر الدين، (1993)، محمد بن عبدالله (ت 842هـ/1438م)، توضيح المشتبه، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ابن نقطة، (1991)، محمد بن عبدالغني (ت 629هـ/1231م)، تكملة الإكمال، تحقيق: عبدالقيوم عبد رب النبي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
- اليافعي، (1997)، عبد الله بن أسعد (ت 768هـ/1366م)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ياقوت، (1986)، ياقوت بن عبد الله الحموي (ت 626هـ/1228م)، المشترك وضعاً والمفترق صقعا، عالم الكتب، بيروت.
- ياقوت، (1977)، ياقوت بن عبد الله الحموي (ت 626هـ/1228م)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت.

المراجع:

- القاسمي، محمد سعيد، (1988)، قاموس الصناعات الشامية، تحقيق: ظافر القاسمي، دار طلاس، دمشق.
- لسترانج، كي، (1985)، بلدان الخلافة الشرقية، نقله إلى العربية: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- مصطفى، شاكر، (1987)، التاريخ العربي والمؤرخون، دار العلم للملايين، بيروت.
- المقابلة، معن، (2012)، أحياء الخلافة العباسية في الفترة من 530-622هـ/1135-1225م، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية، اريد، دار اليازوري، عمان.

Sources

- Abū Shāmah, (1974), 'Abd al-Rahmān ibn Ismā'īl (died: 665 A.H/1266 A.D.), Tarājim rijāl al-qarnayn al-sādis wa-al-sābi' al-ma'rūf bi-al-dhayl 'alā al-rawḍatayn, 'uniya bi-nashrih: al-Sayyid' Izzat al-'Atṭār al-Ḥusaynī, Dār al-Jīl, Bayrūt.
- Abū Shāmah, (1997), 'Abd al-Rahmān ibn Ismā'īl (died: 665 A.H/1266 A.D.), al-Rawḍatayn fī akhbār al-dawlatayn, Taḥqīq: Ibrāhīm al-Zaybaq, Mu'assasat al-Risālah, Bayrūt.
- Al-'Aynī, (2010), Badr al-Dīn Maḥmūd (died: 855 A.H/1451 A.D.), 'Iqd al-jumān fī tārikh ahl al-zamān (al-'Aṣr al-Ayyūbī), taḥqīq: Maḥmūd Rizq Maḥmūd, Maṭba'at Dār al-Kutub wa-al-Wathā'iq al-Qawmīyah, al-Qāhirah.
- Al-Birzālī, (2006), al-Qāsim ibn Muḥammad (died: 739A.H/1338 A.D.), al-Muqṭafā 'alā kitāb al-Rawḍatayn, al-ma'rūf bi-Tārikh al-Barzālī, taḥqīq: 'Umar 'Abd al-Salām Tadmūrī, al-Maktabah al-'Aṣrīyah, Ṣaydā - Bayrūt.
- Al-Dhabābī, (1984), Muḥammad ibn Aḥmad (died: 748 A.H/1348 A.D.), al-'Ibar fī Khabar man ghabar, Taḥqīq: Ṣalāh al-Dīn al-Munajjid, Maṭba'at Ḥukūmat al-Kuwayt, al-Kuwayt.
- Al-Dhabābī, (1988), Muḥammad ibn Aḥmad (died: 748 A.H/1348 A.D.), Ma'rifat al-qurrā' al-kibār 'alā al-ṭabaqāt wa-al-a'ṣār, Taḥqīq: Bashshār 'Awwād Ma'rūfwa-Shu'ayb al-Arnā'ūṭwa-Ṣāliḥ Mahdī 'Abbās, Mu'assasat al-Risālah, Bayrūt.
- Al-Dhabābī, (1996), Muḥammad ibn Aḥmad (died: 748 A.H/1348 A.D.), Siyar a'lām al-nubalā', ashrafa 'alā taḥqīq al-kitāb wa-kharraja aḥādīthahu: Shu'ayb al-Arnā'ūṭ, Mu'assasat al-Risālah, Bayrūt.
- Al-Dhabābī, (2003), Muḥammad ibn Aḥmad (died: 748 A.H/1348 A.D.), Tārikh al-Islām wa-wafayāt al-mashāhīr wa-al-a'lām, Taḥqīq: Bashshār 'Awwād Ma'rūf, Dār al-Gharb al-Islāmī, Bayrūt.
- Al-Fāsī, (1956), Muḥammad ibn Aḥmad (died: 832 A.H/1429 A.D.), Shifā' al-gharām bi-akhbār al-Balad al-ḥarā, Dār Iḥyā'

- al-Kutub al-‘Arabīyah ‘Isá Albābī al-Ḥalabī, al-Qāhirah.
- Al-Mundhirī, (1984), ‘Abd al-‘Azīm ibn ‘Abd al-Qawī (died: 656 A.H/1258 A.D), al-Takmilah li-wafayāt al-naqalah, Taḥqīq: Bashshār ‘Awwād Ma‘rūf, Mu’assasat al-Risālah, Bayrūt.
- Al-Qifī, (2005), ‘Alī ibn Yūsuf (died: 646 A.H/1248 A.D), Ikhbār al-‘ulamā’ bi-akhbār al-ḥukamā’, ‘allaqa ‘alayhi wa-waḍa‘a ḥawāshiyahu: Ibrāhīm Shams al-Dīn, Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, Bayrūt.
- Al-Ṣafādī, (1974), Khalīl ibn Ayybak (died: 764 A.H/1362 A.D), al-Wāfi bi-al-wafayāt, vol: 2, bi-i-‘tinā’: S. DEDERING, Dāral-Nashr Franz Steiner, Wiesbaden.
- Al-Sakhāwī, (1986), Muḥammad ibn ‘Abdal-Raḥmān (died: 902 A.H/1497 A.D), al-I‘lān bi-al-tawbīkh li-man dhamma ahl al-tārīkh, taḥqīq: Franz Rosenthal, Tarjamat: Ṣāliḥ Aḥmad al-‘Alī, Mu’assasat al-Risālah, Bayrūt.
- Al-Sam‘ānī, (1988), ‘Abd al-Karīm ibn Muḥammad (died: 562 A.H/1166 A.D), al-Ansāb, taḥqīq: ‘Abd Allāhal-Bārūdī, Dār al-Jinān, Bayrūt.
- Al-Suyūtī, (1988), ‘Abd al-Raḥmān ibn Abī Bakr (died: 911 A.H/1505 A.D), Tārīkh al-khulafā’, Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, Bayrūt.
- Al-‘Ulaymī, (1997), ‘Abd al-Raḥmān ibn Muḥammad (died: 928 A.H/1522 A.D), al-Manhaj al-Aḥmad fī tarājim aṣḥāb al-Imām Aḥmad, ashrafa ‘alā taḥqīq al-kitāb wa-kharraja aḥādīthahu: ‘Abd al-Qādir al-Arnā’ūt, Dār Ṣādir, Bayrūt.
- Al-Yāfi‘ī, (1997), ‘Abd Allāh ibn As‘ad (died: 768 A.H/1366 A.D), Mir‘āt al-jinān wa-‘ibrat al-yaqzān, waḍa‘a ḥawāshiyahu: Khalīl al-Manṣūr, Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, Bayrūt.
- Ibn ‘Abd al-Hādī, (1996), Muḥammad ibn Aḥmad (died: 744 A.H/1343 A.D), Ṭabaqāt ‘ulamā’ al-Ḥadīth, Taḥqīq: Akram al-Būshīwa-Ibrāhīm al-Zaybaq, Mu’assasat al-Risālah, Bayrūt.
- Ibn al-Athīr, (1986), ‘Alī ibn Muḥammad (died: 630 A.H/1232 A.D), al-Kāmil fī al-tārīkh, Dār al-Kitāb al-‘Arabī, Bayrūt.
- Ibn al-Dubaythī, (2006), Muḥammad ibn Sa‘īd (died: 637 A.H/1239 A.D), Dhayl tārīkh Madīnat al-Salām, Taḥqīq: Bashshār ‘Awwād Ma‘rūf, Dār al-Gharb al-Islāmī, Bayrūt.
- Ibn al-Fuwaṭī, (1416 A.H), ‘Abd al-Razzāq ibn Aḥmad (died: 723 A.H/1323 A.D), Majma‘ al-ādāb fī mu‘jam al-alqāb, taḥqīq: Muḥammad al-Kāzim, Wizārat al-Thaqāfah wa-al-Irshād al-Islāmī, Ṭihirān.
- Ibn al-‘Imād, (1991), ‘Abd al-Ḥayy ibn Aḥmad (died: 1089 A.H/1678 A.D), Shadharāt al-dhahab fī akhbār man dhahab, taḥqīq: Maḥmūd al-Arnā’ūt, Dār Ibn Kathīr, Dimashq - Bayrūt.
- Ibn al-Jawzī, (1992), ‘Abd al-Raḥmān ibn ‘Alī (died: 597 A.H/1200 A.D), al-Muntazam fī tārīkh al-mulūk wa-al-umam, taḥqīq: Muḥammad ‘Abd al-Qādir ‘Aṭā wa-Muṣṭafā ‘Abd al-Qādir ‘Aṭā, Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, Bayrūt.
- Ibn al-Jazarī, (2006), Muḥammad ibn Muḥammad (died 833 A.H/1429 A.D), Ghāyat al-nihāyah fī ṭabaqāt al-qurrā’, Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, Bayrūt.
- Ibn Ḥajar, (1967), Aḥmad ibn ‘Alī (died: 852 A.H/1448 A.D), Tabṣīr al-muntabih bi-taḥrīr al-mushtabih, Taḥqīq: ‘Alī Muḥammad al-Bajāwī, al-Dār al-Miṣrīyah lil-Ta’līf wa-al-Tarjamah, Al-Qāhirah.
- Ibn Kathīr, (1998), Ismā‘īl ibn ‘Umar (died: 774 A.H/1372 A.D), al-Bidāyah wa-al-nihāyah, taḥqīq: ‘Abd Allāh al-Turkī, Hajar lil-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr, Al-Jīzah.
- Ibn Khallikān, (1977), Aḥmad ibn Muḥammad (died: 681 A.H/1282 A.D), Wafayāt al-a‘yān wa-anbā’ abnā’ al-zamān, Taḥqīq: Iḥsān ‘Abbās, Dār Ṣādir, Bayrūt.
- Ibn Mufliḥ, (1990), Ibrāhīm ibn Muḥammad (died: 884 A.H/1479 A.D), al-Maqṣid al-arshad fī dhikr aṣḥāb al-Imām Aḥmad, taḥqīq: ‘Abd al-Raḥmān al-‘Uthaymayn, Maktabat al-Rushd, al-Riyāḍ.
- Ibn Nāṣir al-Dīn, (1993), Muḥammad ibn ‘Abd Allāh (died: 842 A.H/1438 A.D), Tawḍīḥ al-Mushtabih, Taḥqīq: Muḥammad Na‘īm al-‘Irqūsī, Mu’assasat al-Risālah, Bayrūt.
- Ibn Nuḡṭah, (1991), Muḥammad ibn ‘Abd al-Ghanī (died: 629 A.H/1231 A.D), Takmilat al-Ikmāl, Taḥqīq: ‘Abd al-Qayyūm ‘Abd Rabb al-Nabī, Jāmi‘at Umm al-Qurā, Makkah al-Mukarramah.
- Ibn Rajab, (2005), ‘Abd al-Raḥmān ibn Aḥmad (died: 795 A.H/1393 A.D), al-Dhayl ‘alā Ṭabaqāt al-Ḥanābilah, Taḥqīq: ‘Abd al-Raḥmān al-‘Uthaymīn, Maktabat al-‘Ubaykān, al-Riyāḍ.
- Ibn Taghrī Birdī, (1936), Yūsuf ibn Taghrī Birdī (died 874 A.H/1470 A.D), al-Nujūm al-zāhirah fī mulūk Miṣr wa-al-Qāhirah,

Maṭba‘at Dār al-Kutub al-Miṣriyah, Al-Qāhirah.

Sibt ibn al-Jawzī, (2013), Yūsuf ibn Qaz’ūghlī (died: 654 A.H/1256 A.D), Mir’āt al-zamān fī Tawārīkhal-a’yān, Taḥqīq: Ibrāhīm al-Zaybaqwa-ākharūn, Dār al-Risālah al-‘Ālamīyah, Dimashq.

Yāqūt, (1977), Yāqūt ibn ‘Abd Allāh al-Ḥamawī, (died: 626 A.H/1228 A.D), Mu‘jam al-buldān, Dār Ṣādir, Bayrūt.

Yāqūt, (1986), Yāqūt ibn ‘Abd Allāh al-Ḥamawī, (died: 626 A.H/1228 A.D), al-Mushtarik waḍ‘ā wa-al-muftariq ṣuq‘ā, ‘Ālam al-Kutub, Bayrūt.

References

Al-Maqābleh, Ma‘n, (2012), Iḥyā’ al-khilāfah al-‘Abbāsīyah fī al-fatrah min 530-622 A.H/1135-1225 A.D, Mu’assasat Ḥamādah lil-Dirāsāt al-Jāmi‘īyah, Irbid, Dār al-Yāzūrī, ‘Ammān.

Al-Qāsimī, Muḥammad Sa‘īd, (1988), Qāmūs al-Ṣinā‘atal-Shāmīyah, Taḥqīq: Zāfir al-Qāsimī, Dār Ṭalās, Dimashq.

Le Strange, Guy, (1985), Buldān al-khilāfah al-Sharqīyah, naqalahu ilā al-‘Arabīyah: Bashīr Fransīs wa-Kūrīs ‘Awwād, Mu’assasat al-Risālah, Bayrūt.

Muṣṭafā, Shākir, (1987), al-tārīkh al-‘Arabī wa-al-mu’arrīkhūn, Dār al-‘Ilm lil-Malāyīn, Bayrūt.

The Baghdadi Historian Muhammad ibn Ahmad Al-Qadisi (died 632 A.H/ 1235 A.D) and his book Al-Fakhir fi dhikr hawadith Ayyam al-Imam al-Nasir

*Modar Telfah**

ABSTRACT

The present paper aims at shedding light on the Baghdadi historian Muhammad ibn Ahmad Al-Qadisi (died 632 H/ 1235AD), and his book which is entitled Al-Fakhir fi dhikr hawadith Ayyam al-Imam al-Nasir. The paper focuses on uncovering his way of life, the significance of his book, his approach, and the subsequent historians who copied him. The paper shows that ibn Al-Qadisi and his book were famous and the historians who followed him heavily relied on his book for more on the past events including the deaths during the period from (575-616 A.H/ 1179-1220 A.D). Ibn Al-Qadisi adopted the chronological annals approach whereby he was very punctual with regard to the accuracy of dates, details, and causes of events; he provided sound critique of the past events, arranged deaths in chronological order, and integrated pivotal information on the people whom he translated. The paper has also summarized ibn Al-Qadisi resources of his book Al Fakhir with regard to events, figures, official decrees issued by the governors then, the scholars' correspondence in the Muslim provinces, the pilgrims during the Hajj season, some merchants and the countries they travelled to. The paper revealed ibn Al-Qadisi's attitudes, personality, the Sunni sect, being Hanbali, political inclination towards the Abbasids and taking sides with the Abbasid Caliphate during the leadership of the Caliph Al-Nasir, too.

Keywords: Muhammad ibn Ahmad Al-Qadisi; Kitab Al-Fakhir Fi dhikr hawadith Ayyam al-Imam al-Nasir; The Abbasid Caliph al-Nasir li-Din Allah; historians of the 7th A.H/ 13 A.D century; historiography of the Arab Islamic history.

* Department of History, Faculty of Arts, Yarmouk University.

Received on 23/7/2020 and Accepted for Publication on 9/12/2020.